الكتاب الخامس

الفصل الرابع عشر

السودان (١٨٨٥ — ١٨٩٨)

فى أيام المهدى وخصوصا منذ موته الذى حدث فى يونية سنة ١٨٨٥ كان أكثر أهالى السودان وقبائله تضيق ذرعا بنظام الارهاب وتظهر ولاءها لمصر . ولكن السودان — كما قال أحد الانجليز — كان يجب أن يظل على حالته « يأكل بعضه بعضا » .

وقد أفادت برقية أرسلها من سواكن كامرون Cameron فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٨٥ أن عوض الكريم باشا أبو سن فى أم درمان كان يعمل على تهدئة الشيع والجماعات حتى تبين نيات الحكومة . وكان أبو سن زعيم قبيلة الشكرية الكبيرة .

وفى برقية أخرى فى نفس اليوم أبلغ كامرون القنصل ايجرتون ان رسولا حضر الى سواكن وأنبأه أن سنار كانت نقطة تجمع عظيمة لجميع الهاربين من العصاة ، وان حامية سنار التى كان يبلغ عددها ١٠٠٠٠ رجل كانت مسيطرة على المملكة كلها وأن مندوبين من قبل قبائل طوكر كانا وصلا فى اليوم السابق لطلب الصلح .

ومن جهته أعلن القائد الانجليزى جرينفل Grenfell من أصوان ، بتاريخ ٢٧ سبتمبر ، ان سنار كانت لا تزال صامدة وانه اذا احتفظت الحكومة بدنقلة تمكنت سنار من اصلاح الموقف فى الخرطوم .

وفى ١٢ أكتوبر كتب ايجرتون من القاهرة : « ان ضياع مركزى دبه ودنقلة المهيمنين فى الوقت الحالى هو بلا أدنى شك العقبة الكبرى فى سبيل تهدئة السودان الغربى . ولو بقيت سنار على ولائها قوية مزودة بالبواخر الكثيرة وبقى النيل لغاية دبة تحت سيطرة الحكومة لأعلنت المملكة الوسطى خضوعها بعد موت المهدى بقليل ولكان من المحتمل جدا أن يعمد البقارة وهم أهم عوامل الثورة فى الغرب (كما كان الهدندوة فى الشرق) الى الانسحاب الى منازلهم فى الجنوب [1] » .

والحوادث التالية ليست بحاجة الى التفصيل . فقد سقطت سنار ، وأبيدت الحامية ورجالها الصناديد ، وشرع النجومى يتأهب ، على رأس ٣٠٠٠٠ مقاتل للزحف على أبو حمد وكروسكو وغزو مصر .

وكانت مصر يجب أن تظل بقواتها على حدودها فى حالة حذر مستمر . وقد أراد الانجليز منع كل اتصال مع السودان فصدر أمر وزارى بتاريخ ١٠ أكتوبر سنة ١٨٨٥ تقرر بمقتضاه وقف كل تجارة مع السودان . وبذلك ضربت مصر على نفسها حصارا تجاريا ، وكانت العناصر الموالية من الشعب السودانى الذى « تخيفه وتستبد به أقلية متعصبة متهيجة » مضطرة على الدوام الى التحالف مع هذه « العصابة المخربة » .

وكانت جميع السلطات فى القاهرة تطالب برفع الحصار ولكن عبثا لأن الحكومة الانجليزية لم تتزحزح عن خطتها .

وانا نجتزىء هنا بذكر دراموند وولف Drummond Wolf : بعد أن ذكر أن الحصار قد مضى عليه ثمانية أشهر ، قال فى كتابه المرسل الى روزبيرى بتاريخ ٣١ مايو سنة ١٨٨٦ : « اذا منع بتاتا أصدقاء السلام من السودانيين من مزاولة أعمالهم المعتادة ، لم يكن بد من انضمامهم الى الدراويش ، على حين لو أن التجارة يسرت سبلها وعاد كل الى مهنته السلمية كان فى ذلك أكبر اغراء لهم على المطالبة بوقف القتال ..

---

(١) سجلات وزارة الخارجية الانجليزية . رقم ٧٨ . مجلد ٣٨١٠ .

« وليس من الممكن طبعا أن نجزم مقدما بأن تيسير التجارة سيؤدى تنوا الى هزم التعصب الذى كان له أبرز الأثر فى الحروب الحديثة ، لأن نتائج مثـل هذا الاجراء السلمى لن تتحقق الا تدريجا ، وحسبه أنه سيدخل فى السودان الوسائل التى تساعد على تكوين حزب سلام » .

وقد أرسل الخديوى يوسف باشا شهدى الى حلفا ليدرس من كثب الحالة فى السودان . وقد دامت مهمته حوالى عشرة أشهر (يونية ٨٦ — مارس ٨٧) .

كان شهدى باشا يلح باستمرار فى ضرورة اعادة التجارة خصوصا وانه قد استوثق من تعلق السودان بالخديوى . وقد كتب جودت بك رئيس الديوان الخديوى الذى كان ملحقا ببعثة شهدى ، تقريرا بتاريخ ١٢ مارس سنة ١٨٨٧ جاء فيه : « ان القبائل والعشائر التى كانت ملتفة حول المهدية أخذت تتذمر من تهور العصاة وبدأت فعلا حركة مقاومة صريحة بالسلاح . وعبد الله التعايشى فى الوقت الحالى فى أشد الاضطراب بسبب العصيان الضخم الذى انتظم عرب الشرق الشكرية والحمـادة وأبو روف » .

وقد وفد على القاهرة دفع الله أحد زعماء السودان وأحضر معه الى الخديوى كتابا مرفوعا اليه من مئات كبار المشايخ فى كردفان ، بتاريخ ٢٩ دى الحجة سنة ١٣٠٣ هـ (سبتمبر ٨٦) ، جاء فيه : « اننا نضع كل أمل فى انقاذنا فى ارادة الخديوى لتصبح الأمة كلها محكومة بواحد كما كان الأمر من قبل » .

وقد حدثت فى سنة ١٨٨٨ مناقشات فى المجالس النيابية وفى الصحف بانجلترا بخصوص سواكن والسودان ، فاقترحت مجلة ساترداى ريفيو « فتح السودان من جديد وتوطيد السيطرة الانجليزية على أعالى النيل » ذعر الرأى العام فى مصر من هذه السياسة واضطر رياض باشا

رئيس الوزارة الى ارسال مذكرة الى بيرنج ، بتاريخ ٩ ديسمبر (٨٨) قال فيها : « لاينازع أحد فى أن النيل حياة مصر فهذه مسألة ظاهرة مفروغ منها . والنيل هو السودان فلا جدال فى أن العلاقات والصلات التى تربط مصر والسودان لا يمكن فصمها كالعلاقات بين الجسد والروح .

« وان حكومتى لعظيمة الأمل فى أن تتمكن بالوسائل السلمية (كالتجارة) من استعادة نفوذها تدريجا فى هذه الأقطار .

« وان ترك سواكن لدولة أوربية لايمكن التسليم به لأن معناه انتحار لمصر » .

والحقيقة كما قال دارسى [1] ان المسألة المصرية كانت مرتبطة بطريقة لا انفصام لها بمسائل السودان والبحيرات والحبشة أيضا « فمن هذه العناصر الثلاثة تتألف فى الواقع مشكلة واحدة أعدت لها انجلترا بمهارة نادرة حلا يتفق مع مصالحها » .

وبينما كانت انجلترا تعمل على الوصول الى النيل من الشمال كانت فرنسا تحاول السبق اليه من طريق الكونغو . ولما وجه سؤال فى سنة ١٨٩٥ الى الحكومة الانجليزية بخصوص سياستها السودانية والخطة التى قررت اتخاذها فى حالة تدخل من جانب فرنسا ، أجاب السير ادوارد غراى ، العضو فى وزارة روزبيرى ، بتصريح ٢٨ مارس الشهيرالذى صار من ذلك الوقت القاعدة التى ترجع اليها الحكومة الانجليزية فى كل مناسبة : « ان انجلترا لها صفة الوصية المكلفة بالدفاع عن مصالح مصر ... وبما أن مصر لها مطالب فى وادى النيل فان منطقة النفوذ البريطانى تشمل جميع وادى النيل » .

(١) Darcy, Cent Années de Rivalités Coloniales, 1904

وقد رأينا كيف تصرفت هذه الحارسة الأمينة أو الوصية فى الأراضى المصرية وكيف وزعت بعضها على ايطاليا والحبشة وولاية الكونغو ...

وفى أثناء اجتماع ١٠ أبريل سنة ١٨٩٥ قررت الغرفة التجارية بلندرة دعوة الحكومة « الى اتخاذ الاجراءات الناجعة فى سبيل تحقيق الهيمنة الانجليزية على وادى النيل جميعه من أوغندة الى فاشودة » .

ولأجل أن تثير المسألة المصرية كلها وتنازع انجلترا فى « حقوقها » على السودان ووادى النيل قررت فرنسا ، فى سنة ١٨٩٧ ، الوصول الى النيل من الجنوب بواسطة مارشان Marchand [1]

---

(١) الواقع أن فرنسا كانت تطمع فى الاستيلاء على بحر الغزال ووصل شمال افريقيا بوادى النيل وكانت انجلترا تطمع فى جعل وادى النيل ، على الأقل من منابعه الى الخرطوم ، منطقة انجليزية بحتة . جاء فى خطاب لسالسبرى الى الملكة فكتوريا بتاريخ ١٠ يونية سنة ١٨٩٠ بخصوص الاتفاق على مناطق النفوذ مع ألمانيا والتنازل لها عن جزيرة هليجولند : «وأن الوزارة بالاجماع توصى بقبول هذا الاتفاق . ان العوض عن هليجولند هو الحماية على جزيرتى زنجبار وبمبا و١٥٠ ميلا من الساحل بالقرب من سلطنة فيتو Witu وعدم المطالبة من جانب ألمانيا بأى حق على البلاد الخلفية الداخلة . وبناء على هذا الاتفاق تقع جميع المنطقة الخارجة عن حدود الحبشة وبلاد الجالا تحت النفوذ الانجليزى لغاية الخرطوم» .

وقد كتب لاجارد Lugard فى يولية سنة ١٨٩٥ مقالا عنوانه (انجلترا وفرنسا فى وادى النيل) فى مجلة (ناشيونال ريفيو) جاء فيه :

«فى رده على ادوارد غراى أعلن هانوتو ، بتاريخ ٢٨ مارس، أن انجلترا لم تحدد مطلقا فى أى وقت مضى أى جزء من وادى النيل تطالب به لمصر وأى جزء تطالب به لنفسها . وجوابنا على ذلك أن مصر قد تقدمت فى فتوحاتها بقواتها الذاتية لغاية الخرطوم . ولكن ابتداء من هذه النقطة كل فتح وكل ادارة قام بهما بيكر وغردون (كذا) . اذن تمتد منطقة النفوذ المصرية لغاية الخرطوم . وابتداء من هذه النقطة تبتدىء منطقة النفوذ الانجليزية التى تشتمل على «جميع حوض النيل غربا وجنوبا مع مديرية خط الاستواء ، وبحر الغزال ودارفورد وكردفان ، وشرقا جميع البلاد الواقعة بين النيل والبحر الأحمر والمحيط الهندى ، باستثناء الأراضى التى حددتها انجلترا بوضوح فى معاهدة ابريل سنة ١٨٩١ واقرت بأنها حماية ايطالية .

«ان فرنسا تطالبنا بالجلاء عن مصر . ولكننا لن نجلو عنها حتى نحتل فعلا المنطقة التى طالبنا بها لغاية حدود مصر . ومتى أصبحت مصر فى قبضة يدنا بمقتضى مركزنا على النيل ، عندئذ وعندئذ فقط نجلو بجنودنا » .

وفى السنة عينها أرسلت انجلترا ماكدونالد على رأس حملة ليسبق مارشان الى فاشودة من طريق أوغندة . وكانت فى الوقت نفسه تفكر فى ارسال حملة من الشمال بقيادة كتشنر للاستيلاء على الخرطوم وبحر الغزال فى الجنوب .

وقد تعذر على ماكدونالد اتمام مهمته بسبب ثورة السوادنيين التى سبق ذكرها .

أما حملة كتشنر فكان يجب أن تصل فى الميعاد لهزم فرنسا سياسيا فى فاشودة .

وكان اللورد كرومر ، فى يونية سنة ١٨٩٧ ، يعارض فى ارسال قوات بريطانية بسبب الأعباء المالية الباهظة التى تنشأ من الحملة وبسبب عدم صلاحية الجنود الانجليز من الناحية الجثمانية لحرب السودان .

« فان الجندى الانجليزى ليس عنده أقل استعداد ليكون أداة حرب فى جو كجو السودان . ولم تنتج أية فائدة من ارسال الأورطة الانجليزية فى الصيف الماضى فى دنقلة . ولا بأس أن نذكر أنه من بضعة أيام فقط حدث استعراض فى القاهرة بمناسبة عيد ميلاد الملكة ، وعلى الرغم من أن الجو لم يكن حارا بدرجة فوق العادة فقد سقط حوالى ١٢٠ جنديا وخرجوا من الصف من قوة تعدادها ١٨٠٠ . وقد يقول قائل ان البريطانيين قاتلوا فى السودان . وردى على ذلك ان التاريخ الحقيقى لمعارك سنة ١٨٨٥ لم يكتب قط ، ولا أعتقد أن أحدا يفكر فى اجراء التجربة من جديد » .

وهذا مايفسر لنا الأسباب التى من أجلها سيقع حمل الفتح الثانى بصفة خاصة على كاهل الجندى المصرى والمالية المصرية .

وعلى أية حال كانت الدوائر فى لندرة مترددة فى تحديد تاريخ قيام

الحملة : أيعجل بها فى سنة ١٨٩٧ لمواجهة التهديد الفرنسى ، أم تؤجل الى السنة التالية . وكان اللورد ولسلى من أنصار التعجيل .

وكان اللورد لانسدون Lansdowne وزير الحربية ، من جهته ، يعارض فى أى تقدم سابق لأوانه نحو الخرطوم .

وكان رئيس الوزارة سالسبرى يؤيد الرأى الأخير كما يتضح من كتاب كان بعث به الى لانسدون بتاريخ ٢٢ أكتوبر سنة ١٨٩٧ :

« ان الشرين اللذين يتعادلان هما من ناحية ، المجهود الذى سيطلب من الجيش المصرى وجيش الملكة والذى تشير اليه فى كتابك ، ومن ناحية أخرى ، المصاعب السياسية الدولية التى قد تنشأ من وصول مكتشف فرنسى الى النيل قبل وصولنا نحن الى الخرطوم . على أن مثل هذا الخطر لا يخيفنى لأننا مهما كانت الظروف سنعرف كيف نواجهه » .

وبعد أن أكد سالسبرى أن أى احتلال فعلى (اشارة الى مارشان) لن يكون جديا قط قال مؤيدا فكرة التأجيل :

« يجب أن لايغيب عنا أننا بقضائنا على قوة الدراويش نقتل بأيدينا المدافع الذى يحتفظ لنا الآن بالوادى » .

وهذا هو النص الانجليزى لهذا الاعتراف الخطير :

It is to be remembered that by destroying the Dervish power we are killing the Defender who is holding the valley for us now.

وقد ورد فى مذكرات بلنت فى سنة ١٨٨٥ اعتراف من هذا القبيل هذا نصه :

« ٢٦ مارس (١٨٨٥) — توجد علائم على أن حملة سواكن قد قاربت النهاية ...

(١) Lord Lansdowne, A Biography by Lord Newton. 1929, p. 148

« تعشيت اليوم عند سدنى بكستون (عضـــو مجلس النواب) وجلست بجانب مدام كورتنى ، وكان على الجانب الآخر منى مدام بكستون التى حدثتنى أن اللورد هارتنجتون قد كتب أخيرا الى صديق له قائلا انه ليس فى وسعه أن يفهم لماذا يقاتلون المهدى مع أنه ، أى المهدى ، ثبت أنه الرجل الوحيـــد الذى كان ينفـــذ سياسة وزراء صـــاحبة الجلالة [1] » .

هذان الاعترافان يلقيان كل الضـــوء على السياسة الانجليزية فى السودان منذ بيكر (١٨٧٠) وغردون الى كتشنر واستعادة السودان (١٨٩٨) .

والمهم أن مصر لم تتنازل قط عن حقوقها فى جميع الممالك التى كانت تتألف منهـــا الامبراطورية السودانية . ورد فى الكتاب الأزرق الذى أصدره اللورد سالسبرى فى سنة ١٨٩٨ عن مسألة فاشودة كتاب من بطرس غالى باشا وزير الخارجية جاء فيه :

« ان حكومة الخديوى كما تعرف سيادتكم لم يغب عن نظرها فى حين من الأحيان العودة الى استئناف احتلال الأقاليم السودانية التى هى مصدر الحياة ذاتها لمصر . ومصر لم تنسحب من تلك الأقاليم الا عقيب قوة قاهرة . وان استعادة الخرطوم تفقد الغاية منها اذا لم يعد الى مصر وادى النيل الذى ضحت مصر فى سبيله الضحايا العظيمة .

« ولعلم الحكومة المصرية أن مسألة فاشودة فى هـــذا الأوان هى موضوع مفاوضات بين بريطانيا العظمى وفرنسا ، فانها تكل الى أن أطلب من سيادتكم أن تتفضلوا بحسن الوساطة لدى اللورد سالسبرى ليتم الاعتراف لمصر بحقوقها التى لا تقبل نزاعا ولكى تعاد اليها الأقاليم التى كانت تحتلها حتى قيام ثورة محمد أحمد » .

(١) Gordon At Khartoum, By W. S. Blunt, London, 1911, p. 404

الفصل الخامس عشر

حدود الامبراطورية الجغرافية

كلتا الخريطتين الخريطة التى وضعها أركان حرب الجيش المصرى فى سنة ١٨٧٨ ونشرها الأمير عمو طوسن فى كتـابه (مديرية خط الاستواء) والخريطة التى نشرها الدكتور أبت Abbate عن الاستكشافات الجغرافية فى عصر اسماعيل لا تخلو من نقص كبير .

ولعل أدق وصف لحدود السودان أو الامبراطورية السودانية قبل الثورة المهدية هو ما كتبه استيوارت فى تقريره لسنة ١٨٨٣ وما كتبه هارى جونستون فى كتابه (بريطانيا عبر البحار . أفريقيا) . وقد ذكرنا من قبل وصف استيوارت لكنا نعيده هنا لأن الوصفين يكمل بعضهما بعضا ويكونان معا صورة صحيحة لحدود السودان .

قال الكولونيل استيوارت : « ان البلاد التى يحتلها الآن المصريون ويطلقون عليها اسم (السودان) لهى بلاد كبيرة جدا مترامية الأطراف طولها من الشمال الى الجنوب — أى من أسوان الى خط الاستواء — نحو ٢٤ درجة أو ١٦٥٠ ميلا ، وعرضها من مصوع الى غربى دارفور نحو ٢٢ درجة أو ١٢٠٠ الى ١٤٠٠ ميل ، واذا ابتدأنا من نقطة برانيس على ساحل البحر الأحمر شرقا على خط موزاة الدرجة ٢٤ الى نقطة غير معينة فى صحراء ليبيا تعترضها الدرجة الثامنة والعشرون خط الطول ، ومن هناك يتجه خط الحدود جنوبا الى الغرب حتى الزاوية الشماليـة

الغربية من دارفور فى نقطة تقع حوالى درجة ٢٣ من خط الطول ثم يتجه فى استقامة نحو الجنوب الى الدرجة ١١ أو ١٢ ، ثم يتجه جنوبا بشرق عبر مونبوتو وبحيرة نيانزا حتى يماس مدخل فكتوريا نيانزا ويصعد من هناك شمالا الى الشرق فيشمل اقليم هرر ثم يصل الى المحيط الهندى عند رأس جردفوى ويصير على ساحل البحر الأحمر حتى برانيس » .

وقد أضاف استيوارت بعد ذلك الملحوظة الآتية : « لقد رأيت من الأفضل أن أضع مديرية هرر ضمن حدود السودان ، لأن هرر ليست وحدها تابعة لحكومة السودان ولكننا لا نعلم الا القليل عن الجهات الواقعة بينها وبين السودان فمن المستحيل القول أين تنتهى مديرية معينة وأين تبتدىء أخرى .

« ان جميع المنطقة الواسعة فى جنوب الحبشة والممتدة من فكتوريا نيانزا الى المحيط الهندى تكاد تكون من الناحية العملية مجهولة تماما . وسكانها من جالا وسومال وآخرين لا يشجعون السائحين على ارتياد بلادهم » .

وقد أرفق تقرير استيوارت بخريطة رسمها ميسيداليا فى الخرطوم سنة ١٨٨٣ وهى مطابقة فى خطوطها الأساسية لوصف استيوارت . والواقع أن حدود السودان الغربية بناء على هذه الخريطة بعد أن تتجه جنوبا الى الغرب حتى الزاوية الشمالية الغربية من دارفور فى نقطة حوالى درجة ٢١ من خط الطول (لا ٢٣ كما يقول استيوارت) تتجه جنوبا فى خط مستقيم تقريبا لغاية ملتقى نهر امبومبو ونهر الأولة فى الأوبانجى ومن هناك تتجه جنوبا بشرق مع الأولة حتى منوبوتو ثم تمر بالجنوب الغربى من بحيرة ألبيرت نيانزا — التى كانت تظللها الراية المصرية — حتى تصل الى ساحل فكتوريا نيانزا الشمالى .

وتعتبر خريطة بوختا الألمانى التى ظهرت فى كتابه (السودان تحت الحكم المصرى) أدق بكثير من خريطة ميسيداليا فى رسم حدود جنوب غربى السودان أو حدود بحر الغزال ومديرية خط الاستواء من ناحية حوض الكونغو ومجرى الأولة وامبومو اللذين يجتمعان فى الأوبانجى .

وعلى أية حال ان أهمية خريطة ميسيداليا وتحديد استيوارت تبدو فى وضع الأونيورو وأوغندة ضمن حدود السودان والاعتراف بأن مديرية خط الاستواء أو مديريات خط الاستواء كانت تمتد جنوبا حتى ساحل فكتوريا .

يضاف الى ذلك أن استيوارت وضع ضمنا المنطقة الواسعة الواقعة فى جنوب الحبشة بين هرر وفكتوريا نيانزا — والتى لم تحتلها الحبشة بعد — فى منطقة النفوذ المصرية (كافا وبلاد الجالا والسومال) . وقد ذكرنا من قبل ان اسماعيل كان يريد خلق مواصلات منتظمة وفتح طريق نفوذ فى هذه المنطقة من هرر الى البحيرات . وحسب مصر أنها كانت فعلا تملك نقط ارتكاز قوية فى أطراف هذه المنطقة وكان نفوذها يوغل فيها تدريجيا .

وبناء على تحديد استيوارت وميسيداليا كان خط الحدود الجنوبى الشرقى ينتهى على المحيط الهندى الى نقطة قريبة من رأس جردفوى فى الشمال ، ولكن جونستون جعل هذا الخط ينتهى عند مصب نهر الجب .

قال هارى جونستون : « كان السودان المصرى يمتد غربا لغاية حدود واداى وحوض الكونغو ، وجنوبا لغاية أوغندة ، وشرقا لغاية الحبشة وبلاد الجالا . وعلى مسافة من ذلك كانت الامبراطورية المصرية تشمل جميع مملكة السومال من الشمال الى الجنوب حتى نهر الجب باستثناء بعض المين المنعزلة التى كان يحتلها سلطان زنجبار [1] » .

(١) هارى جونستون (بريطانيا عبر البحار . افريقيا) بالانجليزية (ص ٤٣١) .

وليس أدل على عبقرية اسماعيل من أنه حاول سبق أوروبا الى تقسيم أفريقيا وانشاء امبراطورية أفريقية فى حدودها الطبيعية والروحانية ، فى حدود وادى النيل ومنابع النيل وممالكها وفى حدود العنصر العربى الذى أوغل فى أواسط أفريقيا ، فكانت هذه الامبراطورية متماسكة متجانسة الى حد كبير من ساحل البحر الأحمر الى المحيط الهندى الى البحيرات وقد أسست انجلترا فى أواخر القرن التاسع عشر (١٨٨٥ — ١٩٠٠) امبراطوريتها السودانية على القواعد التى رسمها اسماعيل وأنشأت خطها الحديدى من مونباسة الى بحيرة فكتوريا وجعلته يمر بين جبلى كينيا وكيليمانجارو طبقا لمشروع اسماعيل القديم الذى منعته من تنفيذه .

ولم تكن أهمية هذه الامبراطورية الروحانية تقل عن أهميتها المادية لأن مصر كانت تعمل على ترقية العناصر العربية المتأخرة المنتشرة فى السودان وساحل البحر الأحمر وهرر وبلاد الصومال ، وكانت فى الوقت نفسه تتوغل بحضارتها ولغتها ودينها فى بلاد الجالا والوثنيين بين الصومال والبحيرات وفى بلاد الزنوج الوثنيين فى مديريات خط الاستواء ومنابع النيل .

وقد ارتكب اسماعيل غلطتين كبيرتين وهو يبسط حدود امبراطوريته الأولى الاسراف فى الاستعانة بالانجليز وأعوانهم من الأجانب والثانية حرب الحبشة (سنة ٧٦) . أما الأولى فقد درسناها فى هذا الكتاب وعرفنا نتائجها وأما الثانية فان الأحباش ليسوا زنوجا وثنيين يمكن ادماجهم وليسوا عربا فكان يجب والحالة هذه مراعاة عامل التجانس الذى هو العامل الأساسى فى كل سياسة بنائية ثابتة — وذلك بصرف النظر عن العوامل الأخرى — وقد ارتكبت الحبشة فيما بعد نفس الغلطة باحتلالها هرر الاسلامية واخضاعها لنظامها وارتكبتها ايطاليا حين أرغمت النجاشى منليك (فى مايو سنة ١٨٨٩) على قبول الحماية الايطالية ووافقت انجلترا بمعاهدة ٢٤ مارس سنة ١٨٩١ التى عقدتها مع ايطاليا على وصل

حد السومال الجنوبى بالنيل الأزرق فدخلت أتيوبيا كلها وملحقاتها هرر وشوا وكافا فى منطقة النفوذ الايطالى ولكن انتصار الأحباش على الطليان فى عدوة سنة ٩٦ قضى على هذا التوسع الضخم .

وعلى أية حال لا يفوتنا أن نقرر بهذه المناسبة أن المالى الكبير كيف Cave ذكر فى تقريره الشهير الذى نشره فى سنة ١٨٧٦ : « ان السودان كما علمنا بلد غنى بثروته وسكانه والقمح الذى يغله ، وانه بعد دفع نفقات دارفوروتجريدة البحيرات يدخل فى الخزانة العامة دخل صاف يبلغ ١٥٠٠٠٠ جنيه .

« ولاشك أن احتلال دارفور وحملة البحيرات الاستوائية ليسا بالعمل الناجح فى التعبير التجارى ، وقد دخل الخديوى الى حد فى هذين المشروعين لالغاء تجارة الرقيق ، ويمكن القول ان حرب الحبشة قد فرضت عليه تقريبا . ومن المحتمل أن ينسحب فى أقرب وقت من الحبشة وخط الاستواء » .

ان حرب الحبشة قد فرضت عليه تقريبا كما فرض عليه الغاء تجارة الرقيق بتكاليفها العنيفة الباهظة وتعيين الأجانب وقد حاول الانجليز بطريقة جدية ابتداء من سنة ١٨٧٦ (وهى السنة التى ظهر فيها تقرير كيف) التطرق الى حد الامبراطورية الجنوبى (أوغندة ومنابع النيل وخط الاستواء) بعد ما تسربت اليها فى الداخل عوامل الضعف من جراء تجارة الرقيق والأجانب المشرفين على الغائها .

وقد ساعدت انجلترا بسياستها « الهجومية » المسلحة التى جرت عليها نحو مصر وامبراطوريتها منذ سنة ١٨٨٢ الدول الأخرى (ايطاليا وفرنسا وبلجيكا والحبشة) على انتهاج نفس السياسة والاعتداء على حدود مصر وحقوقها .

١ — ارتيريا — ذكرنا من قبل كيف تكونت ارتيريا فقد اشترت

شركة ايطالية ميناء عصب سنة ١٨٦٩ من أحد الزعماء المحليين ثم اشترت الحكومة الايطالية الميناء من الشركة فى سنة ١٨٨٢ وبدأت توجد فيه ادارة منتظمة مباشرة . وكان الطليان يقولون عن توسعهم فى الساحل أنهم سيعملون بمساعدة انجلترا « على اصطياد مفاتيح البحر الأبيض فى مياه البحر الأحمر » . وقد احتلوا مصوع فى فبراير سنة ٨٥ واستخدموا جنود الحامية المصرية الباشبوزق فى بسط سلطانهم . واحتلوا فى نفس الوقت بيلول فى شمال عصب واستخدموا جنود حامية زولا الباشبوزق وأعلنوا فى سنة ١٨٨٨ ميناء زولا ضمن أملاك ايطاليا . وأخذوا بعد ذلك يبسطون حمايتهم على القبائل المجاورة حتى امتد نفوذهم من رأس قصار (جنوب سواكن) الى أوبوك (١١٠٠ كيلو متر على الساحل) . وفى مارس سنة ١٨٩٠ صدر مرسوم ملكى ايطالى نظم الممتلكات الايطالية على البحر الأحمر وسماها مستعمرة (ارتيريا) .

ومن ارتيريا كانت تفكر ايطاليا فى اخضاع الحبشة لسيادتها فأمضت مع منليك فى ٢ مايو سنة ١٨٨٩ معاهدة أوتشالى التى بسطت بها حمايتها على أثيوبيا . ولم تكن هذه الحماية وهمية الا فى أعين بعض الدول لأن معظم الخرائط والمعاهدات الانجليزية التى وضعت بعد ذلك التاريخ بصدد الاعتراف بمناطق النفوذ كانت تدخل أثيوبيا كلها والممالك التابعة لها فى منطقة النفوذ الايطالية .

وفى نفس السنة التى أمضيت فيها معاهدة أوتشالى (١٨٨٩) أخذت ايطاليا تتوسع فى ارتيريا على حساب الحبشة فاحتلت كرن (أو سنهيت) مركز بوغوص ثم أغوردت ثم أسمره (يوليه) . وهذه المدينة الأخيرة فى موقع هام عند مصب المارب وعلى طريق مصوع — عدوة .

أما بوغوص فكانت مصر تحتل أطرافها منذ عهد محمد على وقد احتلتها كلها سنة ١٨٧٤ هى وأرض أيلات Ailet (وهذه الأخيرة مديرية واقعة

بين حماسين ومصوع) . وفى ٣ يونيه سنة ١٨٨٤ أرغمت انجلترا مصر بمقتضى معاهدة عدوة (بين مصر وانجلترا والحبشة) على التنازل للنجاشى عن سيادتها على الأراضى التى تحتلها قبيلة بوغوص . وقد تعهد الطليان باحترام هذه المعاهدة ولكنهم خرقوا نصوصها .

ولما انهزم الطليان فى عدوة (أول مايو سنة ١٨٩٦) أمضى الطليان مع منليك فى ٢٦ أكتوبر (١٨٩٦) معاهدة أديس أبابا التى ردت الى الحبشة استقلالها ورسمت بصفة مؤقتة الحدود التى تفصل ارتيريا عن الحبشة على خط مارب — بيليسا — مونا . وفى ١٥ مايو سنة ١٩٠٢ حدث الاتفاق النهائى واستقرت الحدود على خط سيتيت — تودلوك — مارب — بيليسا — وكان هذا التعديل لمصلحة ارتيريا — كما رسمت الحدود بين السودان المصرى الانجليزى واريتريا (مادة أضيفت بناء على تحريض انجلترا) . وقد ظلت أماديب وبوغوص منذ أواخر سنة ١٨٨٩ ضمن حدود اريتريا الايطالية .

٢ — السومال الفرنسى — فى ١١ مارس سنة ١٨٦٢ عقد وزير خارجية فرنسا مع أبى بكر أحد مشايخ خليج تاجورة معاهدة تخول فرنسا ، نظير دفع مبلغ ٥٠٠٠٠ فرنك حق امتلاك ميناء أوبوك وقطعة أرض تمتد من رأس دميرة فى الشمال الى رأس على فى الجنوب . وتعهد أبو بكر ورؤساء الدناكل التابعين له أن يرفض أى عرض تتقدم به دولة أجنبية دون موافقة فرنسا .

ولكن فرنسا لم تعن مطلقا بتحديد هذه الأرض أو اقامة أى نظام فيها ولم يقم فيها أى وكيل فرنسى . وكانت مصر لا تعترف بأمثال هذه المعاهدات لأنها تعقد مع شيوخ غير مسؤولين فى بلاد واقعة تحت السيادة التركية أو المصرية . ولذلك بادرت مصر برفع رايتها عليها توكيدا لحقوقها . وقد احتجت فرنسا على ذلك سنة ١٨٨١ ولكنها لم تفكر

الا فى سنة ١٨٨٣ فى استغلال أوبوك وتوسيع رقعتها لأن أوبوك بحدودها القديمة الضيقة لم يكن لها أى مستقبل تجارى . وقد دعا الحاكم الفرنسي لاجارد Lagarde جميع زعماء البلاد المجاورة الى طلب حماية فرنسا ، وتمكن فى سنتى ١٨٨٤ و ١٨٨٥ من عقد محالفات مختلفة معهم ترتب عليها امتداد الحماية الفرنسية على تاجورة وجميع بلاد الساحل من رأس على الى ما وراء أمبادو بالقرب من زيلع ، وبذلك أصبحت المستعمرة مصاقبة للمناطق التجارية فى الجنوب . وفى بداية سنة ١٨٨٨ استولت فرنسا على رأس جيبوتى وهى آخر نقطة جنوبية فى خليج أوبوك ولم تتردد فى احتلال دونجاريتا الواقعة على ساحل السومال بين زيلع وبربرة مما اضطر انجلترا الى الاتفاق مع فرنسا فى سنة ١٨٨٨ لحملها على ترك دونجاريتا نظير الاعتراف بمنطقة نفوذها .

وفى مايو سنة ١٨٩٦ صدر مرسوم فرنسى تقرر بمقتضاه وضع أرض أوبوك وحمايتى تاجورة وساحل السومال تحت ادارة موحدة قضائية ومالية ، وأطلق عليها من ذلك الوقت اسم ساحل السومال الفرنسى وملحقاته وصارت حاضرته جيبوتى بدلا من أوبوك لأن ميناءها أصلح كما أنها على رأس طريق أسهل وأقصر يصل الى الجالا وهرر .

٣ — السومال الانجليزى أو سوماليلاند . ويقع على خليج عدن وهو أهم مناطق السومال وفيه أشهر مينه زيلع وبلهار وبربرة .

٤ — السومال الايطالى — كان امتلاك أريتريا سببا فى عزل أثيوبيا عن البحر الأحمر ولم يبق لاثيوبيا حدود مفتوحة الا فى الجنوب ولكن الطليان عملوا على اغلاق هذا المنفذ الذى يصل أثيوبيا بالعالم الخارجى .

ذلك أن الحدود الجنوبية تولى وجهها شطر المحيط الهندى . وتقع بينها وبين الساحل بلاد الجالا وبلاد السومال . ويمتد ساحل السومال على المحيط الهندى من خليخ تاجورة لغاية مصب نهر تانا على طول

٢٢٠٠ كيلو متر . ويقسم نهر الجب الساحل الى قسمين غير متساويين فى الشمال والجنوب : فى جنوب الجب توجد سلطنة وينو وقسمايو وفى الشمال مين براوة ومركا ومقدشو (أو مين ساحل بنادر) وسلطنتا أوبيا وميجورتين . وتنتهى هـذه الأخيرة فى رأس جـردفون (أو جردفوى) .

وكانت مصر تحتل احتلالا فعليا السومال من خليج تاجورة لغاية رأس حافون على المحيط الهندى . وكان نفوذها يمتد لغاية الجب الذى احتلته فى أواخر سنة ١٨٧٥ ثم أخلتـه . وقد احتـل الانجليز فى سنة ١٨٨٤ منطقة السومال على خليج عدن ففكر الطليان فى احتـلال بقية الساحل وبلاد السومال خصوصا وان ساحل السومال هو المنفذ الطبيعى لبلاد الجالا وأثيوبيا الجنوبية نحو المحيط الهندى وخليج عدن . وكانت ايطاليا تطمع فى احتلال هرر وساحل السومال جميعه بمساعدة انجلترا .

وسرعان ما أمضت ايطاليا مع سلطان أوبيا فى فبراير سنة ١٨٨٩ صك الحماية . وفى ٧ أبريل من نفس السنة أعلن سلطان ميجورتين بدوره قبول الحماية الايطالية .

ثم رأت انجلترا وايطاليا أن تحددا منطقة نفوذهما على ساحل البحر الأحمر وساحل أفريقيا الشرقى فوقعتا فى ٢٤ مارس سنة ١٨٩١ معاهدة أولى رسمت الحد الفاصل بين المنطقتين فى ساحل السومال : كان ذلك الحد يذهب صعدا مع الجب من مصبه على المحيط الهندى ، تحت خط الاستواء تقريبا ، لغاية درجة ٦ من خط العرض الشمالى . وقد تنازلت انجلترا لايطاليا عن المين الأربعة التابعة لزنجبار والتى أرغمت المصريين على اخلائها فى سنة ١٨٧٥) : براوة ومركا ومقدشو ووارشيخ الواقعة فى شمال الجب ، ولم تحتفظ لنفسها على ساحل بنادر من مينه الا بمدينـة قسمايو كما احتفظت بمنطقة الجب .

بقى تحديد الصومال الايطالى من ناحية المملكات الانجليزية على خليج عدن . كانت انجلترا تحتل الساحل من خليج تاجورة لغاية درجة ٤٩ من خط الطول شرق جرينوتش ، وكانت الحماية الايطالية تمتد لغاية رأس حافون شمالا على المحيط الهندى . وبين رأس حافون ودرجة ٤٩ من خط الطول يوجد الركن الأفريقى الشرقى الذى يهيمن عليه رأس جردفون . وقد تنازلت انجلترا لايطاليا بمعاهدة ٥ مايو سنة ١٨٩٤ عن رأس جردفون وجميع المنطقة المحيطة به التى يبلغ طول ساحلها ٤٠٠ كيلو مترا (من رأس حافون لغاية درجة ٤٩ من خط الطول شرقا) وبذلك أصبح ساحل الصومال الذى تمتلكه ايطاليا لغاية نهر الجب يبلغ طوله ٢٠٠٠ كيلو متر تقريبا .

٥ — أفريقيا الشرقية الألمانية : بدأت ألمانيا فى سنة ١٨٨٥ تستولى على أملاك زنجبار فى أفريقيا الشرقية فاضطرت انجلترا الى امضاء معاهدة ٢٩ أكتوبر — أول نوفمبر سنة ١٨٨٦ مع ألمانيا : أصبحت بمقتضى هذه المعاهدة حقوق سيادة سيد برغش سلطان زنجبار مقصورة أولا على قطعة ممدودة على أرض الساحل من نهر مانجانى لغاية كيبينى الواقعة عند مصب نهرتانا ولا يزيد عمقها فى الداخل عن عشرة أميال ، ثانيا على جزر زنجبار ومافيا وبمبا ولامو ، ثالثا على مين ساحل بنادر الخمسة . وقد نص على أن تكون سلطنة ويتو الواقعة فى شمال كيبينى تابعة لألمانيا .

ثم اتفقت الدولتان فى نفس الوقت على تحديد مناطق نفوذهما فى أفريقيا الشرقية ، فامتلكت ألمانيا الساحل من مصب روفوما الى مصب فانجا (حوالى ٨٠٠ كيلو متر) عدا سلطنة ويتو . كما أن جبل كيليمانجارو بكتلته الضخمة أصبح ضمن حدود أفريقيا الشرقية الألمانية التى كانت تمتد لغاية شرقى بحيرة فكتوريا نيانزا .

على أن أطماع جمعية الاستعمار الألمانية كانت ترمى الى بسط السيادة الألمانية على جميع بلاد الصومال وعلى منابع النيل وممالكها . ومعلوم أن

بلاد السومال تمتد على ٢٠٠٠ كيلو متر من الساحل تقريبا وتوغل فى الداخل لغاية بلاد الجالا واثيوبيا . وكان يتزعم السومال من ناحية الساحل رئيسان مستقلان هما سلطان أوبيا وسلطان ميجورتين . وقد سبقت شركة الاستعمار الألمانية الطليان الى عقد معاهدات فى سنتى ١٨٨٥ و ١٨٨٦ مع سلطانى أوبيا وميجورتين اللذين تنازلا للشركة عن سيادتهما من ويتو الى حدود الممتلكات الانجليزية على خليج عدن .

وكان أنصار الاستعمار الألمانى يفكرون فى مد حدود امبراطوريتهم الافريقية من المحيط الهندى شرقا الى الاطلانطيقى غربا . فذهب الدكتور بيترز على رأس حملة الى أعالى النيل لانشاء محطات والاستيلاء تدريجا على أوغندة والأنيورو وربطهما بساحل أفريقيا الشرقية الألمانية . وحاول فى الوقت نفسه أمين باشا ، بعد دخوله فى خدمة ألمانيا ، استرجاع مديريته القديمة .

ولكن الحكومة الألمانية خشيت مغبة المغامرات الافريقية والاصطدام بانجلترا فرفضت اعتماد المعاهدات المبرمة بين الشركة وشيوخ السومال ، وتنكرت للدكتور بيترز الذى كان نجح فى عقد معاهدة مع أوغندة ، كما أنها أعلنت أن أمين باشا كان يعمل تحت مسؤوليته هو وأن جميع أعماله وحركاته خارج الحدود الألمانية المعترف بها لا تعنيها .

وقد اكتفت ألمانيا ، فى سنة ١٨٨٩ بضم المنطقة الواقعة بين سلطنة ويتو ونهر الجب ، وأبلغت قرار الضم الى الدول فى أكتوبر ، فأسرعت ايطاليا الى احتلال ساحل السومال الذى رغبت عنه ألمانيا .

وفى أول يوليه سنة ١٨٩٠ وقعت ألمانيا وانجلترا معاهدة جديدة تنازلت الأولى للثانية بمقتضاها عن سلطنة ويتو والمنطقة الواقعة بين ويتو وقسمايو التى ضمتها حديثا (١٨٨٩) . وبذلك دخلت هذه البلاد فى منطقة النفوذ الانجليزى . وفيما يتعلق بالحد الفاصل بين أفريقيا الشرقية

الألمانية وأفريقيا الشرقية الانجليزية فقد ظل تقريبا على حالته كما كان فى سنة ١٨٨٦ ولكنه أقصى عن شرق بحيرة فكتوريا . وبذلك أصبحت المنطقة الانجليزية المعترف بها تمتد مع الجب وتوغل حتى منابع روافد النيل الغربية . وقد اعترفت ألمانيا بالحماية الانجليزية على زنجبار وبمبا ، وكانت هاتان الجزيرتان خارج امتياز شركة أفريقيا الشرقية الانجليزية ، ذلك الامتياز الذى كان يشمل جميع أوغندة والأونيورو وقسما من كاراجوا وبحيرة ألبيرت نيانزا وقسما من بحيرة ألبيرت ادوارد والممالك الواقعة على سواحلها وكذلك مديرية خط الاستواء المصرية وقسما من دارفور وكردفان .

وقد علق على ذلك اسكوت كيلتى بقوله : « لاريب أن هذه المنطقة الهائلة يجب النظر اليها باعتبارها الى حد ما خيالية . وهى تشمل جزءا ضخما من السودان المصرى القديم ، ولئن كانت مصر قد تخلت عنه الا أن الخديوى قد يطالب به اذا ما نجحت شركة أفريقيا الشرقية الانجليزية فى احتلاله فعلا وتوطيد رفاهيته التجارية والصناعية . وفى نفس الوقت يجب أن لا ننسى مطلقا أنه طبقا لقرارات مؤتمر برلين لا يمكن ادعاء ملكية أية أرض مالم يسبقه احتلال فعلى [1] » .

وقد رأينا كيف تم هذا الاحتلال فى السودان والملحقات ، وبأى الوسائل ، وكيف تقاسمت انجلترا والدول الصديقة أو المنافسة الامبراطورية السودانية .

٦ — مديريات خط الاستواء وحدود الكونغو البلجيكى والكونغو الفرنسى .

(١) جاء فى تقرير كرومر لسنة ١٩٠١ : « ان حدود السودان الجنوبية لم تقرر بصفة نهائية وان غوندوكورو كانت تعد الحد الشمالى الأقصى

(١) كتاب (تقسيم افريقيا) بالانجليزية ص ٣٣٤ طبعة سنة ١٨٩٣

لأوغندة ومونجالا الحد الجنوبى الأقصى للسودان على الضفة الشرقية للنيل . وبمقتضى معاهدة ١٢ مايو سنة ١٨٩٤ بين انجلترا والكونغو تنازلت انجلترا — مع احتفاظها بحقوق مصر فى حوض أعالى النيل — لحكومة الكونغو ، لمدة معينة ، عن القسم الأكبر من بحر الغزال وعن قطعة أرض صغيرة على ضفة النيل الغربية وسط الأراضى المصرية تسمى (حاجز لادو LADO ENCLAVE) واعترفت لها بمنطقة نفوذ فيها .

« ولم يقم البلجيكيون بأن احتلال فعلى فى هذه المنطقة ولكنهم بادروا الى احتلال لادو حوالى سنة ١٨٩٨ عقب حادث فاشودة فأذن الانجليز لهم بالبقاء بشرط أن لا يعتدوا على بحر الغزال . وكانت منطقة لادو تمتد على ١٥٠٠٠ ميل مربع (٥٢٠٠٠ كيلو متر مربع) وعدد سكانها ٢٥٠٠٠٠ » .

وبناء على اتفاق ٩ مايو سنة ١٩٠٦ بين صاحب الجلالة ملك الانجليز وملك الكونغو كان لهذا الأخير الحق فى ادارة لادو مدى الحياة . وفعلا لم تمض ستة شهور على موته حتى أعيدت منطقة لادو ، فى ١٦ يونيه سنة ١٩١٠ ، الى حكومة السودان .

وفى أول يناير سنة ١٩١٤ اقتطع من السودان القسم الجنوبى من منطقة لادو (١٤٠٠٠ كيلو متر مربع) فى غرب بحر الجبل (النيل) وضم الى أوغندة مقابل اضافة مركزى غندوكورو ومنيوت الى السودان .

وقد ساعد امتداد السودان نحو الجنوب حتى نيمول (بازاء دوفيلة) على تيسير الاشراف على جميع الجزء الصالح للملاحة فى النيل الأبيض من أول الخرطوم وكسبت أوغندة البلاد الغنية الواقعة فى غرب النيل وان كانت فقدت اقليم لاتوكا . أما غندوكورو الواقعة على بعد ٢٦ ميلا من مونجالا (عاصمة مديرية مونجالا أقصى مديريات السودان الحالى

وأشدها تأخرا) فانها أهملت من أجل مونجالا وأصبحت كأن لم تكن .

وعلى أية حال يستدل من خريطة أوغندة التى نشرها هارى جونستون فى كتابه الضخم عن (حماية أوغندة) الذى ظهر فى سنة ١٩٠٢ ان الحد الشمالى لأوغندة لم يكن غندركورو الواقعة بالقرب من خط العرض ٥ ولكن كيريندو القريبة من خط العرض ٦ على أن الذى يعنينا أن المؤلف نشر خريطة تبين المناطق الصحية وارتفاعاتها فكانت مناطق الدرجة الأولى وهى الصحية للغاية يتفاوت ارتفاعها من ٥٥٠٠ الى ٢٠٠٠٠ قدم ومناطق الدرجة الثانية ، وهى الصحية الى درجة ما يتفاوت ارتفاعها من ٣٥٠٠ الى ٥٥٠٠ قدم . ومناطق الدرجة الثالثة ، وهى غير صحية ، يتفاوت ارتفاعها من ٢٠٠٠ الى ٣٥٠٠ قدم . ومناطق الدرجة الرابعة وهى غير صحية ويبلغ ارتفاعها ٢٠٠٠ قدم أو أقل . وهذه المناطق الأخيرة أو الأراضى المنخفضة الموبوءة المصبوغة فى الخريطة بلون بنى . كانت لا توجد الا حول بحيرة رودولف ، ولكن فى رقعة ضيقة جدا ، وعلى ضفتى النيل ، ولكن فى رقعة واسعة جدا ، تبدأ عند نيمول ضيقة على الجانبين لا يزيد عرضها عن أربعة أو خمسة كيلو مترات فى كل ناحية ثم تتسع تدريجيا مع النيل شمالا ابتداء من لابوريه حيث تبلغ من ١٠ الى ٢٠ كيلو مترا . ومن رجاف فغندوكورو الى حد أوغندة الشمالى تبلغ ١٠٠ كيلو متر على الضفة الغربية و ٢٠٠ أو ٢٥٠ على الضفة الشرقية . وتقع لاتوكا فى شرق غوندوكورو ورجاف أى فى صميم المنطقة الموبوءة . وهذا يبين لنا السبب الحقيقى فى النزول بحد أوغندة الشمالى الى نيمول والاستعاضة عن هذه المنطقة بالمنطقة الغنية الصحية الواقعة غرب بحر الجبل من نيمول الى نقطة قريبة من ماهاجى فى الشمال الغربى من بحيرة ألبيرت نيانزا هذا فيما يتعلق بحدود جنوب السودان من ناحية أوغندة . بقيت الحدود الجنوبية الغربية من ناحية الكونغو .

(ب) فى ٢٩ أبريل سنة ١٨٨٧ أمضى اتفاق بين الفرنسيين

والبلجيكيين أصبح بمقتضاه خط التباين بين منطقتى نفوذهما مجرى الأوبانجى ابتداء من ملتقى الكونغو لغاية نقطة التقاطع مع خط الموازاة الشمالى درجة ٤ . وبعد هذا الخط تعهدت دولة الكونغو بأن لا تحاول بسط أى نفوذ سياسى على الضفة اليمنى للأوبانجى وتعهدت حكومة فرنسا ، من جهتها ، بأن لاتتعرض للضفة اليسرى لهذا النهر تحت خط الموزاة المذكور .

وكان هذا الخط درجة ٤ هو أقصى خط موازاة قرره مؤتمر برلين فى سنة ١٨٨٥ ليكون حد الكونغو الشمالى . ويقول الفرنسيون أن الأوبانجى لم تكن بعد اكتشفت منابعه ومجراه حتى يمكن تنفيذ الاتفاق وتعيين الحدود بدقة ، وان المكتشفين البلجيكيين فى سنة ١٨٨٨ قد تمكنوا من اقامة الدليل على أن الأوبانجى بالقرب من خط الموازاة الشمالى درجة ٤ كان يتألف من اجتماع نهرين أحدهما أمبومو Ambomou والآخر الأوله Ouellé . وكان وكلاء دولة الكونغو يدعون أن مجرى النهر الرئيسى هو امبومو ، وكان الفرنسيون يقولون ان المجرى هو الأوله الذى كان أطول بلا نزاع من امبومو .

ومهما كان من الأمر فان البلجيكيين كانت أطماعهم تمتد الى حوض أعالى النيل فى مديرية خط الاستواء ومديرية بحر الغزال وتجوز الحدود التى رسمها لهم مؤتمر برلين سنة ١٨٨٥ والمعاهدة الفرنسية الكونغولية فى سنة ١٨٨٧ وقد وصلت تجريدة فان فركهوفن ، فى أوائل سنة ١٨٩٣ ، الى النيل واحتلت دوفيلة .

وفى نفس الوقت تقدمت تجريدات بلجيكية كثيرة الى الشمال فاحتلت زونجو وبانزيفيل وبانجاسو وياكوما (١٨٩١) ورافاى (١٨٩٢) وليفى بالقرب من ديم زبير (١٨٩٣) فى بحر الغزال وبلغت حدود دارفور ، فى سنة ١٨٩٤ ، وحفرة النحاس .

فبعد أن كانت حدودهم المرسومة درجة ٤ من خط العرض الشمالى أصبحت دوين درجة ١٠ أى على بعد أكثر من ٧٠٠ كيلو متر من شمال الأولة [١] .

وكان أكبر هم انجلترا فى ذلك الوقت سد طريق التوسع فى وجه فرنسا ومنعها من الوصول الى أعالى النيل قبلها فأراد الملك ليوبولد أن يستغل الظروف لتحل بلجيكا محل انجلترا وبتأييدها لتحقيق هذا الغرض وأراد الانجليز أن يستخدموا البلجيكيين ليكونوا حراسا لهم كالطليان على أن يستردوا منهم البلاد فى الوقت المناسب . وسرعان ما أمضى الفريقان ، الانجليز والبلجيكيون اتفاقية ١٢ مايو سنة ١٨٩٤ الشهيرة . أجرت انجلترا للكونغو بمقتضى هذه الاتفاقية وذلك بصفة دائمة ، القسم الواقع من مديرية بحرالغزال فى غرب خط ٣٠ جنوب جرينويتش . وأجرت بصفة مؤقتة (مدى حياة ليوبولد) حوض بحر الغزال الواقع بين خط درجة ٣٠ الجنوبى فى الغرب ، ومجرى النيل فى الشرق ، وخط الموازاة درجة ١٠ شمالا . وبذلك امتدت حدود الكونغو البلجيكى امتدادا هائلا من خط الموازاة ٤ الى خط الموازاة ١٠ شمالا ، وعلى النيل لغاية فاشودة شرقا . وصار وادى امبومو جميعه المتنازع عليه بين فرنسا والكونغو ضمن الحدود الجديدة .

وقد تنازل الكونغو لانجلترا عن قطعة أرض عرضها ٢٥ كيلو مترا ممتدة فى شمال تنجانيقا وملاصقة لأفريقيا الشرقية الألمانية . وكانت انجلترا تريد الانتفاع بهذه الأرض لمرور الخط الحديدى من الكاب الى القاهرة ووصل ممتلكاتها من الجنوب الى الشمال دون حائل .

وقد ثارت ثائرة فرنسا بسبب بحر الغزال ومسألة وادى امبومو .

---

(١) أنظر كوشرى (المركز الدولى لمصر والسودان) ص ٣٩٠ ـ ٣٩١ (بالفرنسية) .

صحيح ان انجلترا قد احتاطت فى ملحق معاهدة ١٢ مايو سنة ١٨٩٤ بقولها : « بمناسبة تأجير بعض الأراضى فى منطقة النفوذ الانجليزية فى شرق أفريقيا يقرر الطرفان المتعاقدان أنهما لا يجهلان حقوق تركيا ومصر فى حوض النيل الأعلى » ، ولكنها فى الوقت الذى تحتفظ فيه بحقوق مصر وتركيا فى حوض النيل الأعلى تعلن أن حوض النيل الأعلى « فى منطقة النفوذ الانجليزية » وتتصرف فيه تصرف المالك .

وقد احتجت ألمانيا على هذه المعاهدة وأرغمت انجلترا وبلجيكا على سحب الشرط الخاص بامتياز قطعة الأرض الملاصقة لتنجانيقا . ثم جرت مفاوضات بين فرنسا والكونغو انتهت بتعهد الدولة المستقلة (الكونغو) فى ١٤ أغسطس سنة ١٨٩٤ ، بأن لا تحتل أرضا فى شمال لادو كما اتفقتا على تقسيم وادى امبومو الى قسمين متعادلين : الضفة اليمنى لفرنسا واليسرى للكونغو . وتقرر أيضا أنه ابتداء من اندوروما N.DORUMA حيث ينبع نهر امبومو يكون للكونغو الحق فى أن يبسط نفوذه لغاية خط الموازاة درجة ٥ ونصف وعلى النيل لغاية لادو . وبذلك أصبحت دولة الكونغو تملك جميع الضفة الشمالية من نهر امبومو فى شمال خط الموازاة درجة ٤ ، وتملك ابتداء من اندوروما جميع البلاد لغاية خط العرض درجة ٥ ونصف الا أن بعض المواد الخاصة بحدود الكونغو الشرقية سمحت له بالتوسع من هذه الناحية الى ماوراء الخط الفاصل بين حوض النيل وحوض الكونغو وهو الخط الذى نصت عليه معاهدة ١٢ مايو الانجليزية الكونغولية . وقد بلغت مساحة الكونغو بعد هذه المعاهدات نحو ٢٢٠٠٠٠٠ كيلو متر مربع .

حاولت فرنسا بعد ذلك احتلال الأراضى المكتسبة بمقتضى المعاهدات والتوغل فى بحر الغزال لغاية فاشودة وقد سبق مارشان كتشنر اليها كما هو معلوم ولكن فرنسا تراجعت أمام انجلترا واضطرت بمعاهدة ٢١ مارس سنة ١٨٩٩ الى ترك بحر الغزال نهائيا والاعتراف بمنطقة

النفوذ الانجليزية فى السودان المصرى لغاية خط الموازة درجة ١٥ أى دارفور وكردفان وبحر الغزال .

على أن المهم أن الفرنسيين قد اقتطعوا من مديرية بحر الغزال جزءا كبيرا كما اقتطع البلجيكيون جزءا من بحر الغـزال وجزءا من مديرية خط الاستواء ، دون أن يشير الى ذلك أحد من مؤرخى الدولتين . وبذلك حدث تعديل كبير فى حدود السودان الجنوبية الغربية . يتضح ذلك من مقارنة الخرائط الجغرافية الحديثة بخريطة مديرية بحر الغزال القديمة وحدودها التى نشرها بوختا الألمـانى الذى صحب جونكر فى رحلاته فى كتابه عن (السودان تحت الحكم المصرى) وخريطة ميسيداليا التى أرفقت بتقرير استيوارت (١٨٨٣) وخريطة مديرية خط الاستواء التى نشرها فيتاحسان فى كتابه (الحقيقة عن أمين باشا) وخريطة بوختا وخريطة ميسيداليا .

وتبلغ مساحة ما استولى عليـه الفرنسيون من بحر الغزال حوالى ١٥٦٠٠٠ كيلو متر مربع وهى الأرض الواقعة شمال امبومو من اندوروما لغاية تفرع نهرى أومبومو والأوله من الأوبانجى .

وتبلغ مساحة ما استولى عليه البلجيكيون من مديرية بحر الغزال التى كان يحدها جنوبا نهر الأوله حوالى ٧٥٠٠٠ كيلو متر مربع بين الأوله وامبومو . وقد اقتطعوا من مديرية خط الاستواء فى غرب بحر الجبل وألبيرت نيانزا لغاية محطة حواش على الأوله (من أواسط مكراكا الى آخر مونبوتو) أرضا تبلغ مساحتها حوالى ٤٥٠٠٠ كيلو متر مربع .

٧ — حدود السودان الشرقية والحبشة : بعد ثلاثة أعوام من معاهدة ٢١ مارس سنة ١٨٩٩ الانجليزية الفرنسية التى سوت حدود السودان المصرى من ناحية الكونغو والصحراء حدثت تسوية الحدود المصرية من ناحية الحبشة . وهذه التسوية التى تمت فى ١٥ مايو سنة ١٩٠٢ بين

الحكومة الانجليزية والامبراطور منليك الثانى شملت الحد الذى يفصل بين السودان المصرى واثيوبيا على مسافة يبلغ طولها ١٤٠٠ كيلو مترا . وقد رسم الخط الفاصل بحيث يترك للسودان جميع المراكز الضرورية لأمنه وتطوره . فبسطت اثيوبيا حدودها لغاية نهر السوباط واعترف لسيادتها على البلاد الواقعة بين نهرى بارو والجب . وبذلك استولى منليك فى الجنوب الشرقى من السودان على أرض تبلغ مساحتها ٣٦٠٠ كيلو متر مربع . والذى يزيد من قيمة هذه الأراضى أنها متصلة بالسوباط وهو نهر صالح للملاحة فى كل فصل . وفى نظير هذا التنازل حصلت انجلترا على امتيازات اقتصادية عظيمة منها تعهد منليك بعدم القيام بأى عمل من شأنه أن يحدث تغييرا فى النظام المائى للنيل الأزرق ونهر السوباط وبحيرة تسانا ، ومنحه انجلترا حق مد الخط الحديدى الذى سيصل الكاب بالقاهرة فى أراضى اثيوبيا . وبذلك يمكن وصل أوغندة بالخرطوم بالسكة الحديد الممتدة فى سفح الهضبة الاثيوبية وتجنب طريق المستنقعات النيلى وبعبارة أخرى ربط السودان بأفريقيا الشرقية الانجليزية وانشاء مواصلات منتظمة من مونباسة الى الاسكندرية تمر فى وسط امبراطورية ضخمة تهيمن عليها انجلترا [١] .

وقد اتسعت الحبشة من ناحية السودان بصفة عامة على حساب حدود السودان الشرقية كما اتسعت أريتريا على حساب حدود الحبشة الشمالية وحدود السودان الشرقية معا ولا يزال لهذا الاتساع المجحف صدى فى الرأى العام السودانى .

ذكرت جريدة « الرأى العام » السودانية فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٥ المناطق التى اقتطعت من حدود السودان الشرقية قائلة : « انها الأقاليم التى يسكنها جزء من قبيلة بنى عامر السودانيـة فى اريتريا ، وشرق

---

(١) انظر كتاب (أفريقيا للاوربيين) تأليف الدكتور روير بالفرنسية (ص ٩٨) .

القلابات ، ومنطقة المتمة — التى يشهد اسمها بأصلها السودانى — ومنطقة قوبا التى تسكنها قبائل القمر والهمج السودانيـة ، ومنطقة بنى شنقول المعروفة ، والتى هى ضرورية للسودان نظرا الى خصوبتها ووجود الذهب فيها ، وخاصة أنها كانت جزءا من السودان فى عهد الحكم التركى » .

* * *

ملاحظات عامة :

كانت دول أوروبا فى سنة ١٨٧٦ لا تملك فى أفريقيا الا بقاعا صغيرة مستطيلة على بعض نقط الساحل وكانت مصر تملك امبراطورية ضخمة متماسكة . وكان سلطانها يمتد على جميع ساحل البحر الأحمر الغربى ويمتد على المحيط الهندى لغاية رأس حافون واعترفت انجلترا بهذه السيادة (على ساحل البحر الأحمر وسواحل السومال) فى معاهدة ٧ سبتمبر سنة ١٨٧٧ والواقع أن نفوذ مصر كان يشمل بلاد السومال كلها لغـاية نهر الجب كما قلنا وكان يمتد فى الداخل الى بلاد الجالا فى جنوب الحبشة لغاية منابع النيل .

ولكن بين سنة ١٨٨٢ و ١٨٩٢ حلت انجلترا وايطاليا وفرنسا والحبشة محل مصر عنوة واقتدارا فنشأت مستعمرة اريتريا على ساحل يبلغ طوله ١٢٠٠ كيلو متر وكانت مساحتها حوالى ١٢٠٠٠٠ كيلو متر مربع .

ويلى اريتريا السومال الفرنسى وتبـلغ مساحته حوالى ٢٧٠٠٠ كيلو متر مربع .

ويلى السومال الفرنسى السومال الانجليزى وتبلغ مساحته حوالى ٢٥٨٠٠٠ كيلو متر مربع (وسكانه ٣٠٠٠٠٠) ويلى السومال الانجليزى السومال الايطالى وتبلغ مساحته (مع بلاد الجالا) حوالى ٦٠٠٠٠٠ كيلو متر مربع (وتعداد سكانه حوالى المليون) . وهذه المساحة الأخيرة

يدخل فيها منطقة وادى الجب وقسمايو التى كانت احتفظت بها أفريقيا الشرقية الانجليزية ثم تنازلت عنها لايطاليا فى سنة ١٩٢٤ ، وقد ظلت هذه المنطقة منفصلة عن السومال الايطالى لغاية سنة ١٩٢٦ ثم أدمجت فيه .

واستولت الحبشة على هرر سنة ١٨٨٧ وتبلغ مساحتها حوالى ٢٠٢٠٠٠ كيلو متر مربع (وتعداد سكانها حوالى ١٤٠٠٠٠٠) .

ثم تكونت على آثار السيادة المصرية فى خط الاستواء وأوغندة بين المحيط الهندى ومنابع النيل أفريقيا الشرقية الانجليزية وأوغندة . وصارت مساحة أوغندة فى الربع الأولى من القرن الحالى ٣٢٣٠٠٠ كيلو متر مربع .

وفى يولية سنة ١٩٢٠ ارتقت حماية أفريقيا الشرقية الانجليزية الى مرتبة مستعمرة من مستعمرات التاج وسميت مستعمرة كينيا . وبلغت مساحتها — منذ التنازل عن منطقة الجب وقسمايو لايطاليا (١١٣٠٠٠ كيلو متر مربع) — حوالى ٧٧٤٠٠٠ كيلو متر مربع . وكانت انجلترا بعد امتلاكها جبل كينيا تطمع فى امتلاك جبل كليمانجارو لأنه من خيرة الأصقاع لاقامة الأوربيين ولكن هذا الجبل كان على كره منها ضمن حدود أفريقيا الشرقية الألمانية . حتى نشبت الحرب الكبرى (١٩١٤) فاستولت على أفريقيا الشرقية الألمانية (مستعمرة تنجنيقا) وحصلت على انتداب من عصبة الأمم فى سنة ١٩٢٢ . وتبلغ مساحة مستعمرة تنجنيقا حوالى ١٢٣٨٠٠٠ كيلو متر مربع .

وقد استولت الحبشة — عدا هرر — فى سنة ١٩٠٢ على قسم من أراضى السوباط تبلغ مساحته ٣٦٠٠ كيلو متر مربع كما قلنا .

واستولى الكونغو البلجيكى على جزء من مديرية خط الاستواء وجزء من مديرية بحر الغزال على نهر الأولة تبلغ مساحتهما فى تقديرنا مالا يقل عن ١٢٠٠٠٠ كيلو متر مربع فى أقصى الجنوب الغربى من السودان .

واستولى الكونغو الفرنسى على جزء من بحر الغزال على نهر امبومو تبلغ مساحته فى تقديرنا ١٥٦٠٠٠ كيلو متر فى أقصى الجنوب الغربى أيضا .

وأصبح أقصى حد جنوبى للسودان (من ناحية أوغندة) بلدة نيمول بجوار دوفيلة بعد أن كان على ساحل بحيرة فكتوريا الشمالى .

وبعد اقتطاع كل ما اقتطع وضياع الملحقات التى كانت وحدها تؤلف امبراطورية واسعة أصبح السودان المصرى منذ سنة ١٨٩٩ السودان المصرى — الانجليزى وتبلغ مساحته حوالى مليون ميل مربع أو ٣٤٣٧٠٠٠ كيلو متر مربع أى ثلث مساحة أوروبا وضعف ألمانيا وفرنسا مجتمعتين .

الفصل السادس عشر

المدنيتان فى أفريقيا

مدنية المصريين والعرب ومدنية الغربيين

كتب سيلفا هوايت فى كتابه عن « تطور أفريقيا » الذى ظهر فى سنة ١٨٩٢ ما نصه : « لقد تسلط تعدد الزوجات والرق على أفريقيا ، منذ القدم ، وهما من شر بلاياها ، ولا يمكن القضاء عليهما دفعة واحدة . ولكن يمكن من ناحية أخرى ، محو المشروبات الروحية والأسلحة فى الحال ، وهما أكثر وسائل النفوذ الأوربى انتشارا ، دون أن يتضرر الأفريقيون .

« وقد ثبت أن تجارة المشروبات الروحية البغيضة كانت لها ، على الساحل الغربى ، نتائج مريعة بين المتعاطين ، وهى تشل جهود المبشرين والقائمين بأعمال البر والاحسان ، وهى مقترنة فى نفوس السكان بالمسيحية كما أن تجارة الرقيق مقترنة فى نظرنا بالاسلام ، واننا نحتمل ولا نعمل على محو احدى البليتين بينما نعلن سخطنا ونعمل جاهدين على ابطال الأخرى ، وكلتاهما ، على كل حال ، عمل اجرامى فاضح . وان رياءنا فى مسلكنا ليشف عما تحته للأفريقيين أنفسهم . ولا نبالغ اذا قلنا ان كل تقدم فى أفريقيا مستحيل مالم تمح فيها هذه التجارة الفظيعة المزدوجة .

« وفى جنوب أفريقيا تراجع معظم السكان الأصليين الى الوراء على طول الخط أمام تقدم جنس أجنبى شديد قوى كالهولنديين والانجليز

أو أصبحوا عبيدا وفقدوا مقوماتهم بسبب الاندماج لأن الانتقال من البربرية الى المدنية كان طفرة ... وقد احتفظت قبائل الزولو وحدها بكيانها قدر المستطاع .

« وفى السودان أدى الاحتكاك بمدنية تطابق أحوال الطقس وعبقرية الشعب الى حدوث اندماج طبيعى بين الوثنيين والعرب . وفى هذه الحالة ساعدت ظروف البيئة على التقدم وفى بلاد أعالى النيل رأينا الدولة المصرية تتلاشى بعد أن دبت فى هيكلها عوامل الفساد ، وفى شرقى أفريقيا ، اضمحلت السيطرة العربية كذلك . وكانت الاثنتان تعيشان بتجارة الرقيق فلم تعملا شيئا أو لم تعملا الا القليل لتساعدا على تقدم المدنية بين السكان .

« صحيح ان مؤتمر محاربة الرقيق اجتمع فى سنة ١٨٨٩ — ١٨٩٠ ، ووضع برنامجا للقضاء على هذه التجارة ولكن أوروبا وان تكن قد ذهبت فى سياستها الى حد تنظيم تجارة الأسلحة النارية الا أنها لم تجاوز ذلك الى الغاء تجارة المشروبات الروحية لأن الأسلحة كان يخشى أن تصوب الى الأوربيين فى حين أن المشروبات الروحية السامة تقتل الوطنيين » .

هذا ما قاله ذلك الكاتب الانجليزى ، ولابد أن نقرر بهذه المناسبة أن محاربة الرقيق ، تحت ستار الأغراض الانسانية ، كان يساعد أوروبا على بسط نفوذها وتشتيت النفوذ العربى المنافس ، ولم يكن الفساد العام أو سوء الادارة هو الذى هار القوة المصرية فى أعالى النيل — كما يزعم جميع الانجليز المسؤولين — وانما مصدر الفساد والانهيار هناك هو سياسة الرقيق بالذات ، كما بيناه فى هذا الكتاب — تلك السياسة التى فرضتها انجلترا لبذر بذور الاستياء والفوضى وتحقيق المطامع الأوربية .

وفى شرقى أفريقيا ، أى فى الساحل وزنجبار ، كان سقوط السيطرة

العربية من جراء هذه السياسة نفسها . أما القول أن الدولة المصرية لم تعمل شيئا يساعد على تقدم الوطنيين فهذا مخالف للحقيقة والأعمال المصرية البحتة فى السودان ، من ١٨٢١ الى ١٨٧٧ ، وفى الأقطار المتطرفة من خط الاستواء الى ساحل البحر الأحمر الى بربرة وهـرر وساحل الصومال شاهد على ذلك . ومما لا نزاع فيه أن امبراطورية محمد على فى آسيا وامبراطورية اسماعيل فى أفريقيا كانت أسباب الانهيار فى كلتيهما خارجية أى أن منشـأ الانهيار لم يكن الفساد الوطنى الداخلى ولكن الضربات الخارجية القاصمة التى كانت توجهها أوروبا من الخارج .

ولاشك أن العوامل الداخلية كانت وشيجة الصلة بالعوامل الخارجية لأن تسليف الأموال بالربا الفاحش وما يتبعه من خراب مالى وفرض رقابة أجنبية وتدخل مسلح كان خطة أوربية منظمة جرت فى فارس وفى مصر وفى تونس ، وقد ترتب على ذلك أن التطور الطبيعى التقدمى فى هذه البلاد الثلاثة ، وبالأخص فى مصر ، قد عيق وربك يفضل هذه السياسة التى كانت محاربة تجـارة الرقيق وتجارة المشروبات الروحية الرخيصة جزءا من برنامج تدخلها فى أفريقيا .

ولا نبالغ اذا قلنا أن فكرة المدنيـة والانسانية بعيـدة عن عقلية الاستعمار الأوروبى وأغراضه الاستغلالية الاستعبادية . وحسبنا هنا أن نشير الى ثورة مستعمرة لاجوس Lagos الانجليزية الواقعة على ساحل أفريقيا الوسطى الغربى حيث حاول الموظفون الانجليز وشركة نيجيريا الانجليزية افناء السكان بالمشروبات الروحية . وقد وجه الوطنيون سنة ١٨٩٦ الى البرلمان الانجليزى عريضة تحمل ١٢٠٠٠ امضاء من سكان لاجوس وايبادان وأبيوكوتا من مختلف الأديان جاء فيها : « بما أنه ثبت أن تجارة المشروبات الروحية السامة من جن وروم وخـلافهما التى أدخلت فى أفريقيا الاستوائية الغربية ، وفى جميع القارة ، تحدث فيها بلايا عظيمة فى الأجسام والعقول والأخلاق ، وبمـا أننا مقتنعون بأن

الوقت قد حان للقضاء بضربة حاسمة على هذه التجارة فاننا نحن الموقعين أدناه نتعهد بتأييد كل حركة تهدف الى الغائها فى أوروبا أو أفريقيا » .

وكانت حدثت عدة ثورات فى سنتى ١٨٩٤ و ١٨٩٥ لأن الشركة كانت ترغم الأهالى على احضار محاصيلهم للمصانع الانجليزية ليأخذوا بدلها مشروبات روحية . وكان التجار الألمان والانجليز وغيرهم يتنافسون فى ارسال مقادير ضخمة من هذه المشروبات السامة لحمل الأهالى على تعاطيها . وقد بلغ ما أرسل الى نيجيريا من ميناءى روتردام وهامبورج سنة ١٨٩٧ حوالى ٢٢٠٠ طن من « الجن » وفى سنة ١٨٩٨ نحو ٣٢٠٠ طن [١] .

وقد كتب الدكتور بلايدين D. Blyden يقول : « بين سيراليون ومصر المسلمون هم الدولة الكبرى الوحيدة التجارية والفكرية والأخلاقية وقد ظلت القبائل المتوسطة بينهما أكثر من ثلاثة قرون تحت تأثير الاسلام الذى عمل منذ الفتح على تكييف حياة أذكاها الاجتماعية والسياسية والدينية . وان أتباعه يسيطرون على السياسة والتجارة فى كل أفريقيا الواقعة فى شمال خط الاستواء [٢] » .

وقد علق سيلفا هوايت نفسه على رأى الدكتور بلايدن بقوله : حين ينتصر رجال أمثال الدكتور بلايدن للاسلام نرانا مضطرين للاعتراف بأن أولئك الرجال ومعارضيهم يقوم منطقهم على أسس متباينة . ولاشك أن حكم الدكتور بلايدن فى مسألة كهذه جدير بكل احترام خصوصا وان الدكتور بلايدن زنجى قح من كبار رجال السياسة والعلم ، وهو فوق ذلك مسيحى . وهو حين يقول ان الاسلام هو أذكى قوة فى السودان فانه بلاشك يقارنه بالوثنية و « الفتيشية » من ناحية

---

(١) انظر كتاب «أفريقيا السياسية فى سنة ١٩٠٠» .
L'Afrique Politique en 1900, Par Bonnefon pp. 176-188

(٢) Christianity, Islam And The Negro Race, p. 260

وبالمسيحية من ناحية أخرى لا بالمسيحية كما نعرفها بل بالمسيحية كما تبدو تعاليمها فى الواقع على ساحل أفريقيا الغربى . وبينا يرى المسيحيين فى أوروبا ينادون بالمذاهب العالية اذا أعمالهم على النقيض مما يعلنون ويقولون فهم يشجعون الرق ويزعمون الغاءه كما يشجعون تجارة المشروبات الروحية والأسلحة . وهو يرى الاسلام يحرم ويحض على عدم الاسراف فى الطعام أو الشراب ، وفى ذلك منجاة الوطنيين وصلاحهم ، ويرى فى الوقت نفسه معظم مبشريه « مبعوثى الاسلام » يطبقون تعاليم دينهم . ويرى الأوربيين يهبطون الى مستوى الوطنيين بينما يجتهد المسلمون فى النهوض بالوطنيين الى مستواهم [1] » .

تكلمنا فى أثناء البحث عن الادارة الانجليزية فى السومال وفى أوغندة وأشرنا هنا الى مساوئها فى نيجيريا وغرب أفريقيا وقد ذكر سيلفا هوايت فضائح ادارة البرتغال وبلجيكا وفرنسا فى كتابه . ووضع الألمانى (لودويج بارو) كتابا عن ليوبولد ملك البلجيك (المكروه) أظهر فيه فضائح الكونغو ومسلك ادارته الهمجى مع الوطنيين [2] .

ووضع انجليزى (موريل) كتابا عنوانه (عبء الرجل الأسود) أظهر فيه مساوىء الادارة الأوربية فى أفريقيا وسياسة الرجل الأبيض « الذى شق طرقا واسعة مملوءة بالدماء من أقصى أفريقيا الى أقصاها [3] » . وذكر المجازر وطرق الاستعباد والاستغلال الوحشية التى أدت الى فناء قسم كبير من السكان وكل ذلك فى سبيل الحصول على المطاط وسن الفيل وغيرهما مما تبتغيه الشركات الرأسمالية وحكوماتها .

ويمكن الاطلاع أيضا على كتب الكاتب الفرنسى أندريه جيد الخاصة

---

(١) ص ١٨١ و١٨٥ من كتاب سلفا هوايت (تطورافريقيا) الطبعة الفرنسية . Silva White, Le Développement de L'Afrique

(٢) ظهرت طبعة فرنسية من هذا الكتاب :
Ludwig Bauer, Léopold Le Mal-Aimé Paris, 1935.

(٣) D. Morel, The Black Man's Burden

برحلاته فى أفريقيا ومشاهداته فى المستعمرات الفرنسية .

ولا بأس أن نذكر أن الأوربيين هم أول من أتجر بالرقيق فى أفريقيا وان هذه التجارة فى عهدهم كانت صحيفة سوداء فى تاريخ البشر . كتب جوزف كوبر الانجليزى : « ان تاريخ الاسترقاق قد مضى عليه الآن أكثر من ثلثمائة سنة وبناء على احصاء قام به كاتب فرنسى مدقق ان هـذه التجارة منـذ ثلثمائة سنة قد انتزعت من أفريقيـا أكثر من خمسين مليون رجل [1] .

« ولاشك أن الجرائم والفظائع التى تدل عليها هذه الأرقام تقع أولا على أمم أوروبا المسيحية التى جلبت هذه التجارة فى أفريقيا فى القرن السادس عشر [2] » .

وجاء فى كتاب من أمتع الكتب الحديثة عنوانه (غسق المدنيـة أو الغرب والشعوب الملونة) : « فى الوقت الذى اكتشفت فيه قارات جديدة (اشارة الى أمريكا) وجعل هذا الاكتشاف النفس الغربية الطموح تهز أجنحتها الى عالم اللانهاية فى الثروة المـادية نبتت فكرة استغلال الانسان لشبيهه الانسان فى سبيل تنمية ثرائه وزيادتها الى حد غيرمعلوم . وقد منح شارل الخامس أصدقاءه الفلامان فى أنفرس — سنة ١٥١٦ — الحق فى نقل وبيع العبيد السود فى أمريكا . ولكن انجلترا ستصير هى البلد الذى تزدهر فيه تجارة الرقيق وتصبح أزهى صناعة فى البلاد . وقد منح الكابتن هوكنز — وهو نحاس من الطراز الأول — النبالة

---

(١) ويرى بعض الباحثين أن عدد الزنوج الذين اقتنصوا واخرجوا من ديارهم لا يقل عن مائة مليون لم يصل منهم سالما الى امريكا واصبح صالحا للعمل فى مزارعها اكثر من ٨,٥ مليون باعتبار أن من كل عشرة زنوج يموت تسعة فى البر من جراء الغزوات وفى البحر وهم مكدسون فى قاع السفين وعند وصولهم بعد مالاقوا من العذاب الوانا .

(٢) صدر هذا الكتاب (الطبعة الفرنسية) سنة ١٨٧٦ وعنوانه (القارة الضائعة وتجارة الرقيق فى أفريقيا)

Un Continent Perdu, par Joseph Cooper Traduit par Ed. Laboulaye Paris, 1876.

« لأنه يرجع اليه الفضل فى تعريف البلاد (انجلترا) بتجارة جديدة » . وقد نظم الكونت لايسستر والكونت بيمبروك ، على قواعد رأسمالية واسعة ، تجارة الرقيق . وكان للانجليز فى سنة ١٧١٣ ، بمقتضى معاهدة دولية الحق فى احتكار مطاردة العبيد ونقلهم وبيعهم . وقد كانت تجارة الرقيق السبب فى انتعاش البحرية التجارية وارتفاع شأنها ، وفى انتشار الرخاء فى مين ليفربول وبريستول ولانكستر .

« وكان فى ليفربول أسطول مؤلف من ١٩٢ سفينة يستطيع نقل ٢٠٠٠٠٠ عبد فى السنة . وكان نصيب العبيد الكرباج والسلال وآلات التعذيب وغذاء البهائم وقبر فى المزبلة وكثيرا ما كان ينتفع بجثث الموتى للسماد . وكان نصيب المتمدينين المستعمرات : قطن وسكر وقهوة ومشروبات روحية . وقد صرح ميريفال Merivale (محاضرات عن الاستعمار والمستعمرات ، ١٨٤١) ان رخاء منشستر وليفربول قام بنيانه على دماء العبيد المتحجرة [1] » .

هذه لمحة الى آثار المدنية الأوربية فى أفريقيا فى القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر . أما القرن التاسع عشر فقد أرادت أوروبا أن تكفر عن سيئات الماضى وأعلنت حربا صليبية على تجارة الرقيق وقد بينا أنها كانت حربا سياسية تمهد لها سبيل التدخل فى شؤون القارة للاستيلاء عليها وعلى مواردها . وقد اشتركت الدول جميعا فى حروب الابادة والافناء التى شنت على العرب فى أواسط أفريقيا حتى تمكنت بأسلحتها وقوتها الصناعية من اخضاع السكان الأصليين وبلادهم . ولكن كانت نتائج الحروب الاستعمارية فى أفريقيا أشبه بالنتائج التى جرتها سياسة الاسترقاق فى القرون الثلاثة .

وها نحن نضرب مثلا واحدا من أمثلة الاستعمار الانجليزى الذى

---

(١) Arturo Labriola, Le Crépuscule de la Civilisation. L'Occident et les Peuples De Couleur. Paris, p. 53-54.

هو أرقى استعمار فى القارة وذلك فى ولاية بنان الواقعة فى مصب نهر النيجر Benin : « قرر الانجليز اخضاع هذا الشعب الذى حاول جهده أن يحمى استقلاله بمنع الأجانب من دخول المدينة . ولكن كان معلوما أن ملوك بنان يملكون مجموعات نفيسة من البرونز القديم صنع الزنوج . وذاع أن هناك كنوزا دفينة مخبوءة فى غرف تحت الأرض عند ملوك بنان وعلية القوم (الارستوقراطية) ، وكان طبيعيا أن يفكر الانجليز ، وقد ملكوا نيجيريا ، فى وضع يدهم على كل ذلك . فاستذرعوا بالحجة القديمة وهى حدوث « اهانة » لشخص بعض رعاياهم المقدس . وبناء عليه تقرر عمل « تجريدة تأديبية » وقد دافع الملك أوفيرامى ورئيس قوات بنان أولوجبوشيرى خير دفاع عن استقلالهم ضد الغزاة ولكن السهام والحراب وبعض البنادق القديمة ما كانت لتستطيع زمنا طويلا « الصمود » أمام مدافع ومترايوزات صاحب الجلالة البريطانية . وقد سقطت مدينة بنان . ولكن ذلك لم يكف الانجليز لأن قطع البرنز والكنوز ظلت مخبوءة . عندئذ قر الرأى على تدمير المدينة . وقد زعم الانجليز أن الحريق التى التهمتها كانت قضاءا وقدرا ولكن « مذكرات جراح مع حملة بنان التأديبية » التى نشرتها مجلة الجمعية الجغرافية بمانشستر تسلم بواقعتين الأولى — أن اثنين من حمالى الحملة قد وضعا النار فى عشة من عشش السكان

Tow carriers of the expedition set fire to a hut

والثانية أن المدينة كلها كانت طعمة للنيران فى أقل من ساعة .

In less than an hour the whole place was strawn in ashes

مما يدل على أن الحريق قد أضرمت نارها فى وقت واحد فى أماكن متعددة . وقد هلك مئات من السكان فى هذا الحدث المريع . ثم شرع القوم فى سلب ونهب البرونز وأدوات الزينة المصوغة ، ولكنهم لم يعثروا على كنوز من الذهب المصمت ، عدا الكنوز الفنية . فعول الانجليز على

الانتقام وبعد اجراءات قضائية هازلة خلعوا الملك أوفيرامى ونفوه ، وفى ٢٧ يونية سنة ١٨٩٧ شنقوا أولدجبوشيرى ، البطل الذائد عن مدينة بنان . وبذلك انتهت هذه الدولة التى عمرت من أربعة الى خمسة قرون وذهبت معها مدنيتها وفنها . ولا شك أن تدمير بنان يحتل صفحة خاصة فى تاريخ الجرائم التى ارتكبها الانجليز فى مستعمراتهم .

« تلك هى (المدنية) التى جلبتها أوروبا للسود فى أفريقيا [1] » .

وقد فقد الكونغو البلجيكى فى ظرف ثلاثة وعشرين عاما مالايقل عن عشرين مليون رهط قضت عليهم السياسة الغاشمة التى جرى عليها البلجيكيون ومليكهم ليوبولد .

وبالجملة ان الأوربيين قد حاولوا محو السكان ومحو مدنيتهم القديمة القائمة ومحو المدنية الجديدة المدنية المصرية العربية التى كانت أنسب المدنيات اليهم والتى كانت رحمة ونعمة اذا قيست بمدنية الغرب التى صارت نقمة .

---

(١) « غسق المدنية » ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

obeikandl.com

الخاتمـــة

حدثت « فوضى » فى مصر فى شكل ثورة سياسية فى سنة ١٨٨١ . وقد كان التدخل الانجليزى سببا فى أن هذه الثورة السلمية فى بدايتها قد خرجت عن جادتها وتحولت فى سنة ١٨٨٢ الى ثورة مسلحة استذرعت بها انجلترا لاحتلال مصر . وفى نفس السنة (١٨٨٢) حدثت فوضى فى السودان فى شكل ثورة دينية . وقـد استذرعت انجلترا باحتـلالها مصر لتشجيع هذه الفوضى على الاتساع والدوام خمسة عشر عاما كاملة تنشر البؤس والموت والخراب فى أرجاء السودان . ثم نصبت انجلترا نفسها وصية على مصر وانتزعت منها السودان وجميع ممتلكاتها بعد أن أرغمتها على اخلائها بالقوة .

جرت انجلترا على سـياسة الاضعاف والتحطيم المنظم نحـو مصر منذ ولاية محمد على لغاية معاهدة لندرة (١٨٤٠ — ١٨٤١) . وكانت هذه المرحلة الأساسية الأولى . وكان افتتاح قناة السويس فى سنة ١٨٦٩ بداية المرحلة الثانية . وقد كان تعيين بيكر (١٨٧٠) بناء على ايصاء ولى عهد انجلترا ايذانا بتغلغل الاضطراب السياسى والاقتصـادى فى أفريقيا الوسطى .

كتب هارى جونستون بمناسبة افتتاح قنـاة السويس فى كتابه : (بريطانيا عبر البحار ، أفريقيا) : « فى سنة ١٨٧١ عبرت القناة ألف باخرة انجليزية فختم على مصير مصر . وبان كالصبح فى أعين جميع الساسة المستنيرين فى الامبراطورية البريطانية أنه اذا لم تتمكن مصر من المحافظة

على استقلالها كدولة ضعيفة محايدة وجب أن لاتقع تحت سيطرة دولة ما تملك من المنعة والقـوة مايكفى لتحدى بريطانيـا العظمى واغلاق قناة السويس [1] » .

وقد صاغ نفس الفكرة فى أسلوب مختلف اللورد نورثبروك اذ كتب باعتباره رئيس البحر (الأميرالية) الى بيرنج (فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٨٢) بعد ضرب الاسكندرية بالقنابل واحتلال مصر : « حتى ولو كانت الهند منفصلة فانها تخسر أكثر من انجلترا بسد القناة وتعطيل حركة المرور فيها . وانى لا أسلم بأن زيادة بواخرنا الخ تتوقف على القناة . فالأمر بعكس ذلك . لأن خط الكاب من وجهة النظر البحرية هو أفضل الخطوط .. فلو كانت الهند مملكة منفصلة أكان فى مقدورها أن تغفل مصـالحها الحيوية فى سلم مصر ؟ أليس من الخطر عليها أن تقوم فى مصر دولة قوية معادية ، وما الذى يحول دون ذلك ؟ وهل هناك مايتعارض مع منطق النظرية القائلة بأنه لو ترك عرابى ورجال على شاكلته وكانت لهم السيطرة لقامت فى مصر دولة اسلامية مهاجمة ذات شأن أو أن دولة أوربية أخرى كانت تتدخل ، كما تدخلنا ، ولكن بدون أغراضنا الشريفة (كذا) وبفكرة احتلال الشرق ؟ لا شك أن مصالح انجلترا والهند معا تتطلب أن لاتتمكن أمة أخرى من الهيمنة على مصر [2] » .

وبذلك كتب على مصر أن تظل منذ ابتداء القرن التاسع عشر ضعيفة مستضعفة وأن لا تؤدى رسالة المدنية كاملة فى آسـيا أو فى أفريقيا من البحر الأبيض الى البحر الأحمر والمحيط الهندى .

وقد حاربت انجلترا محمد على وألبت عليه الدول وحرمته من ثمار انتصاراته وحاولت طرده من مصر بواسطة الباب العالى وأوقعت اسماعيل

(١) Harry Johnston, Africa p. 342

(٢) Thomas George Earl of Northbrook. A memoir, By Bernard Mallet 1908 pp. 160-170.

فى الارتباك المالى فلما رأته فى سنة ١٨٧٩ يؤيد الحركة الوطنية الناشئة ويؤلف حكومة قوية لانقاذ البلاد خلعته ووضعت مكانه أميرا ضعيفا (توفيق) فلما ثار العرابيون ونجحوا فى تأسيس حكومة دستورية قوية ضربت الاسكندرية بقنابلها واحتلت البلاد وأرغمتها على التخلى عن السودان والملحقات لتضمن بذلك أن لا تجد مصر فى الداخل والخارج عناصر القوة والعزة والسلطان وأن تظل فى حدودها الضيقة خاضعة لها .

وقد بلغت مصر أوج محنتها وضعفها بين سنتى ١٨٨٢ و ١٨٩٨ لأن انجلترا أصبحت تهيمن عليها وتمسك بخنقها من طريق القناة ومن طريق النيل معا ، وبدأ مستقبل مصر يضطرب بين هذين الطريقين المائيين .

تكلم سدنى بيل عن وحدة الوادى ، قال : « لا يمكننا بعد اليوم اعتبار احتلالنا مصر كمعبر لنا فى طريق الهند فحسب .. ليست مصر فى الواقع الا جزءا من مملكة النيل الواسعة . وهى فى اتجاهها نحو الجنوب من الاسكندرية الى السويس لا يحد أفقها الا منابع النيل . ولاشك أنه مع الزمن سيصبح المصريون قادرين على حكم مصر . ولكن أشد الناس تفاؤلا ليس فى وسعه أن يتنبأ عن الزمن الذى يصبحون بعده قادرين على حكم السودان . أما صيحة « السودان للسودانيين » فهى أدعى للسخرية .

وهناك أمر واضح كل الوضوح : وهو أن أراضى النيل تؤلف كلها بلدا واحدا . ولا يمكن تجزئة السيادة . فلا بد من يد واحدة قوية تسيطر على ذلك البلد جميعه » .

ولتبرير « وضع اليد » هذا على وادى النيل كله (من أوغندة فالحبشة فالسودان) يقول الكاتب : « لنا مصلحتنا التجارية المباشرة فى امتلاك وادى النيل ، كما ان مصر لا تزال فى طريق الهند » .

ثم يذكر أخيرا واجبات انجلترا كدولة متمدينة نحو شعوب النيل :

« من خمسين عاما مضت وضع أحد البحارة الانجليز الممتازين [1] بعد أن قام برحلة الى الخرطوم والأبيض كتابا عن هذه الرحلة عنوانه « جولة عبر الصحراء النوبية » قال فيه : « لقد رسمت يد الواحد القهار على الصحراء أنها ستكون خط الاتصال مع الأمم النائية . وهذه المهمة لم تنجز بعد . وستكون الصحراء الطريق لنشر المدنية فى أفريقيا ، ولكن لن تكون أمة شرقية ولن يكون دين محمد السبيل الى ذلك ، واننى أحد الذين يعتقدون ويؤمنون بأن الله قد خص انجلترا بهذه المهمة . ولا شك أن حكومة انجليزية وطائفة من الانجليز فى وسعهما القيام بهذا العمل . عندئذ تنشأ المدائن فى أصوان والخرطوم وتنفذ منها المدنية الى داخل البلاد من أقصاها الى أقصاها » .

والواقع أن مصر الحديثة قامت بهذه المهمة خير قيام وبنت المدائن وعمرتها ونشرت المدنية فى أواسط القارة السوداء . وقد تمكنت مصر باعتبارها دولة شرقية عربية أفريقية من بسط مدنية تتلاءم مع أحوال هاتيك الشعوب وحاجاتها لا مدنية سطحية بل مدنية بعيدة الغور تتغلغل فى نفسية الشعب وفى لغته وفى دينه وفى تطوره .

وقد رأينا كيف شجعت انجلترا الفوضى وفصلت السودان وممالك السودان المتطرفة عن مصر فوقفت حركة النمو الطبيعى فى هذه البلاد وأضعفت مصر فى نفس الوقت ووضعت استقلالها فى حدود ضيقة جغرافيا واقتصاديا وسياسيا وعسكريا . فأيا كان الاستقلال أصبح لزاما عليها أن تحسب ألف حساب للخطر الانجليزى الذى يتهددها من ناحية القناة ومن ناحية النيل ابتداء من منابعه أى من جميع النواحى وفى جميع المناطق التى يتألف منها الفضاء الحيوى للنفوذ المصرى المتجانس .

---

(١) سير وليام ويل بطل اللواء البحرى فى حرب القرم .

ويمكن تقسيم تاريخ السودان الى أربعة عصور : يرجع الأول منها الى مصر الفرعونية وفيه تقدمت المدنية المصرية أعمال الفتح وتغلغلت فى داخل أفريقيا حتى البحيرات الاستوائية .

وفى العصر الثانى ، وهو عصر التغلغل العربى الاسلامى فى شمال أفريقيا ، وفى شمالها الشرقى ، وفى السودان (بما فيه دارفور والممالك المحيطة ببحيرة تشاد) . وقد كان للمدنية العربية أثر ثورى خصوصا فى الشمال : فى مصر من ناحية وفى الجزائر وتونس ومراكش حيث اندرج البربر فى العرب كما اندرج الزنوج جنوبا (السودان) .

أما العصر الثالث ، الذى هو فى الواقع تتمة للثانى ، فقد توسطهما زمن انحطاط وتدهور أعقبه ظهور مصر الحديثة العربية فى السودان وفى الشمال الشرقى لأفريقيا حيث كانت له نتائج بينات وفى أثناء ذلك العصر (فى السودان من سنة ١٨٢١ الى سنة ١٨٨٢ وفى مديرية خط الاستواء لغاية سنة ١٨٩٨) ظهرت شخصيات سودانية قوية من أصل زنجى تعربت وتنقلت فى مدارج الحضارة المصرية كآدم باشا الدنكاوى الذى كان القائد العام للقوات العسكرية فى السودان وغيره وأخذت عملية اندماج العنصر الأسود فى العنصر العربى تخطو من جديد خطوات واسعة فى أواسط أفريقيا . على أن النفوذ المصرى الذى كان يوغل من الشمال ، من طريق النيل ، نحو الجنوب والبحيرات فاتحا ومؤسسا ومنظما كان يسايره فى الوقت نفسه ، من طريق الساحل شرقا ، نفوذ التجار العرب الذين تغلغلوا فى أوغندة والأونيورو وحوالى البحيرات وسبقوا مصر والأوربيين اليها .

وقد أحدثت مصر فى بلاد السومال وهرر انقلابا ثوريا من ناحية المدنية لاشك فيه .

وينقسم العصر الرابع الى ثلاثة عهود الأول عهد الحكومة المختلطة أو

حكومة الأوربيين : بيكر وغردون فى أفريقيا الوسطى (١٨٧٠ — ١٨٧٣ و ١٨٧٤ — ١٨٧٦) وغردون فى السودان (١٨٧٧ — ١٨٧٩) . الى هذا العهد ترجع أسباب ومقدمات الثورة المهدية . والثانى (١٨٨٢ — ١٨٩٨) وهو العهد الذى أرغمت فيه انجلترا مصر على التخلى عن السودان وجميع ملحقاته وتمكنت من فصم عرى الوحدة الكبرى التى انتظمت البلاد الأفريقية وأخذت تتسع كل يوم على حساب الهمجية والوثنية ، وحدة اللغة والثقافة التى هيمنت فى قلب أوغندة نفسها فى أيام امتيازا حين كانت اللغة العربية لغة جميع رؤساء الجيش الرسمية وكان نفوذ مصر فيها نفوذ الدولة الحامية . وكان معظم سكان الأونيورو يفهمون العربية وكان كاباريجا مليكها نفسه يحسن التكلم بها .

وقد تمكنت انجلترا فى سنة ١٨٩٩ بعد اعادة الفتح وعمل اتفاقية السودان من وضع قدمها فى السودان ، الذى أصبح من ذلك الوقت (السودان الانجليزى المصرى) وكانت تريد ضمه الى ممتلكاتها ولكنها رأت من الأوفق لمصالحها مشاركة مصر فى ادارته لأنها كانت بحاجة فى عصر الانتقال الى عساكر مصر وأموال مصر ونفوذ مصر الأدبى حتى توطد سلطانها وتنفرد به . ومتى نجحت بمعونة مصر فى اصلاح اقتصادياته ، وتأليف جيش من الوطنيين ، واكتساب نفوذ محلى واسع عملت على قطع آخر صلة تربط السودان بمصر . وهذا ما حدث فى سنة ١٩٢٤ على أثر مقتل السردار السير لى ستاك فى القاهرة .

وقد استذرعت انجلترا بهذه الجريمة الفردية لطرد الجيش المصرى والموظفين المصريين من السودان . ومن ذلك الوقت كلما اضطرت الظروف انجلترا الى تخفيف وطأتها على مصر حاولت أن تجد العوض فى تطبيق سياسة انفصالية بين مصر والسودان أشد وطأة . والتاريخ يعيد نفسه فانه بعد أكثر من نصف قرن عادت انجلترا الى السياسة التى رسمها غردون بين سنتى ١٨٧٧ و ١٨٧٩ أى الى سياستها القديمة التى

كان ينفذها غردون وأعوانه الأجانب وكانت ترمى الى استقلال السودان الذاتى و تعيين موظفين انجليز ووطنيين مكان المصريين (السودنة) وفصل جنوب السودان عن شماله ؛ والتحقير من شأن كل ماهو مصرى فى أعين السودانيين حتى تتمكن من صدع هذه الوحدة الروحانية السامية التى تتألف منها ومن الوحدة الجغرافية الأساس الذى يرتكز عليه ذلك الاتحاد الأزلى بين شعبى الوادى . وانه لمن الصعب التسليم بأن أمة آتية من أقصى الشمال تدعى لنفسها الحق فى تمدين شعب فى الجنوب غريب عنها فى وضعه الجغرافى وفى جنسه وثقافته وبيئته .

ومهما كان من الأمر فان سياسة ادماج الزنوج فى أفريقيا تلك السياسة السطحية التى جرى عليها المبشرون والمستعمرون الأوربيون لم تأت ولن تأتى بنفس نتائج الادماج العربى من حيث الحضارة والتأثر بها . وهذه حقيقة واضحة جلية .

وقد كان ادماج العرب أو المصريين للعنصر الزنجى أو الأسود ، ذلك الادماج الذى يرمى الى تجديد الشخصية وخلقها من جديد وتحريرها فى شكل من الأشكال ، لا الى افنائها أو استعبادها ، عقبة كؤودا فى طريق المستعمرين . ولذلك فانها كانت السبب الحقيقى الأول لحروب المحو والافناء التى أثارتها الدول فى أفريقيا فى القرن التاسع عشر ضد العرب تحت ستار الانسانية ومحاربة النخاسة والنخاسين .

وقد جرت أوروبا على سياسة التقسيم فى أفريقيا دون أن تحسب أقل حساب لمصالح المدنية والعوامل الأدبية الرفيعة . وكانت لا تعنى بالتفكير الا فى مصالحها المادية والسياسية . فكل فكرة انسانية وكل مطمح عال كانت تخف موازينه أمام « المواد الأولية » ومستلزمات التفرد بالجاه والسلطان .

ولا ريب أنه على الرغم من المنافسات والخلافات التى تحدث بينها

كان ممثلو الدول فى ظروف كثيرة يعلنون تضامن أوروبا فى أفريقيا للاحتفاظ بهيمنتها فيها والقضاء على جميع الحركات الثورية « الضارة » التى تتهددها .

وما كانت مصر والسودان لتستطيعا الافلات من تطبيق ذلك القانون الصارم . وكان اتفاق سنة ١٩٠٤ مظهرا من مظاهر هذه السياسة . وغير خاف أن أصل ذلك الاتفاق المنافسة الانجليزية الفرنسية التى بلغت مأزمها فى فشودة . وكانت التسوية تتعلق بمراكش ومصر (ومع مصر مسألة النيل) وقد تفايضت الدولتان نفوذهما على حساب الشعوب .

وما كادت انجلترا بعد هذا الاتفاق تصبح مطلقة اليد فى النيل حتى تفرغت لتوطيد مركزها فى مصر والسودان فضربت الذلة والاستعباد عليهما معا .

كتب واليس بدج Wallis Budge فى سنة ١٩٠٧ فى مقدمة كتابه « السودان المصرى » يقول « والحق يقال ان السودانيين ليس فى استطاعتهم أن يحكموا أنفسهم ولن يستطيعوا ذلك قبل أجيال .

« ان مهمة الادارة فى مصر وفى السودان اللذين هما فى الواقع ونفس الأمر بلد واحد وأرض واحدة هى من الصعوبة بمكان الخ » .

كانت انجلترا بالأمس تنادى بوحدة البلدين التى لا انفصام لها ولكنها اليوم ، وقد أصبحت مصر تحاول تحقيق حريتها الكاملة لا تريد الاعتراف بهذه الوحدة الأزلية بل تعمل على جعل السودان مستقلا عن مصر لا عن انجلترا . والمنطق يقتضى أن تعكس الآية ليتحقق استقلال السودان بالنسبة لانجلترا لا بالنسبة لمصر وأن تحترم هذه الوحدة التى صارت مصر والسودان من جرائها « بلدا واحدا وأرضا واحدة » .

وعلى أية حال ان هذا « الاستقلال » هو غاية هذه السياسة العاتية التى عرفت كيف تجد فى المهدية العنصر الأول من عناصر التفرقة والفصل بين شعبى الوادى .

القسم الأول

المراجع العربيـــة المطبوعة

اسماعيل سرهنك باشا — حقائق الأخبار عن دول البحار (الجزء الثانى) .

نعوم بك شقير — تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته فى ثلاثة أجزاء . القاهرة سنة ١٩٠٣

سلاطين باشا — السيف والنار فى السودان . تعريب جريدة البلاغ . هذه الترجمة غير مأخوذة عن الأصل الألمانى أو الترجمة الفرنسية الصحيحة ولكن عن الترجمة الانجليزية التى قام بها ونجت باشا وهى ترجمة محرفة مشوهة ناقصة وفيها زيادات مغرضة لا توجد فى الأصل .

محمود طلعت — غرائب الزمان فى فتح السودان . الكتاب الأول سنة ١٣١٤ هـ .

ابراهيم باشا فوزى — كتاب السودان بين يدى غردون وكتشنر . جزءان . سنة ١٣١٩ هـ .

ميخائيل شارويم بك — الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث (الجزء الرابع) . سنة ١٩٠٠ م . سنة ١٣١٨ هـ .

داود بركات — السودان المصرى ومطامع السياســة البريطانية (١٣٤٢ هـ — ١٩٢٤ م) .

عبد الرحمن الرافعى بك — مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال (تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٩٢) . القــاهرة (١٣٦١ هـ — ١٩٤٢ م)

مكى شبيكه — السودان فى قرن (١٨١٩ — ١٩١٩) . القاهرة (١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م) .

دكتور محمد فؤاد شكرى — الحكم المصرى فى السودان (١٨٢٠ — ١٨٨٥) . القاهرة سنة ١٩٤٧ .

(الشيخ محمود القبانى) — السودان المصرى والانكليز .

مجموعة رسائل لأحد أدباء العصر . مطبعة الأهرام بالاسكندرية سنة ١٨٩٦ .

أمين سامى باشا — تقويم النيل .

(وفد السودان) — مآسى الانجليز فى السودان . القاهرة (١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م) .

(محزون) — ضحايا مصر فى السودان وخفايا السياسة الانجليزية . الاسكندرية (١٣٤٩ هـ — ١٩٣١ م) .

سمو الأمير عمر طوسن — تاريخ مديرية خط الاستواء المصرية من فتحها الى ضياعها . فى ثلاثة أجزاء . الاسكندرية (١٣٥٥ هـ — ١٩٣٧ م) .

— المسألة السودانية (١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م) .

— بطولة الأورطة السودانية فى حرب المكسيك (١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م) .

الأستاذ محمد أحمد الجابرى — فى شان الله أو تاريخ السودان كما يرويه أهله . دار الفكر العربى . سنة ١٩٤٧

BIBLIOGRAPHIE

I.—SOURCES

Notre principale source a été, outre les mémoires inédits de Nubar Pacha qui sont du plus haut intérêt, les Archives du Palais d'Abdine au Caire et les Archives du Foreign Office à Londres, que nous avons consultées jusqu'à 1890 environ. A part la correspondance consulaire il y a dans le "Public Record Office" un fonds très important relatif aux Revendications de souveraineté dans la mer Rouge, l'Afrique, et l'Arabie (*claims to souvereignty in the Red Sea, Africa and Arabia*). C'est une mine de documents de premier ordre.

II.—BIBLIOGRAPHIES

La première bibliographie sur l'Egypte et le Soudan, a été publiée à Londres, en 1886-1887 par le prince Ibrahim Hilmy: *The Literature of Egypt and the Sudan, from the earliest times to the year* 1885 *inclusive*; 2 vols.

Cette remarquable bibliographie est établie d'une façon scientifique et fourmille de renseignements et de détails précis.

Sur le Soudan en général il faut consulter une récente et importante bibliographie: *A Bibliography of the Anglo-Egyptian Sudan from the Eearliest Times to* 1937, par R.L. Hill (Sudan civil Service) London, 1939.

Pour Harrar et l'Afrique Orientale. le savant Autrichier. Philipp Paulitschke a publié une bibliographie à la fin de son étude: *Die Geographische Erforshung der Adal-Lander und Harar's in Ost-Afrika* (Leipzig, 1888).

Il existe aussi une bibliographie très intéressante, quoique ancienne, sur l'Afrique: *Bibliographie des ouvrages relatifs à l'Afrique et à l'Arabie.* Catalogue méthodique; par Jean Gay, 1875.

Les bibliographies publiées par les Italiens sur l'Ethiopie, à une date relativement récente, ne sont pas sans rapports directs avec les questions du Soudan, de la mer Rouge, de Harrar et de l'Afrique orientale et présentent, par conséquent, un grand intérêt pour les savants et chercheurs.

III.—PUBLICATIONS OFFICELLES

Les livres bleus et les livres jaunes ainsi que tous les rapports, mémoires et documents officiels publiés sur l'Egypte, le Soudan, et l'Afrique en général, complètent le travail des archives et la documentation "officielle".

IV.—OUVRAGES DIVERS

On trouve dans les bibliographies sus-mentionnées la liste complète des ouvrages relatifs au Soudan et à l'Egypte dans ses rapports avec le Soudan. Nous donnons ici seulement la liste des principaux ouvrages consultés par l'auteur.

A.—**Le Soudan :**

Bernard Allen, GORDON AND THE SUDAN. London, 1931

Lytton Strachey, EMINENT VICTORIANS (Chapitre intitulé THE END OF GENERAL GORDON). C'est moins une étude qu'un portrait, très vivant du reste. Une traduction sommaire sous le titre: LA FIN TRAGIQUE DE GORDON PACHA, a paru dans la REVUE DES DEUX MONDES, du 15 avril et du 1er. mai 1931.

Victor Cherbuliez, PROFILS ETRANGERS (Charles Gordon).

Miss Gordon, LETTRES OF GENERAL C.G. GORDON TO HIS SISTER London, 1888.

Slatin Pacha, FEUER UND SCHWERT IM SUDAN (1879-1895), Leipzig, Brockhaus, 1896.

Une traduction française de cette étude a paru au Caire. en 1898: G. Bettex, Slatin Pacha, FER ET FEU au Soudan.

Achille Biovès, UN GRAND AVENTURIER DU XIXe SIELE; GORDON PACHA. PARIS, 1907.

Blunt (W.—S.), GORDON AT KHARTOUM. 1911.

Bougler (Dimetrius), LIFE OF GORDON, 1896.

Gordon (sir H.—W.), EVENTS IN THE LIFE OF CHARLES GEORGE GORDON, 1886.

Wilkins (W.—H.), THE ROMANCE OF ISABEL, LADY BURTON.

Jules Cocheris, SITUATION INTERNATIONALE DE L'EGYPTE ET DU SOUDAN. PARIS, 1903.

P. Crabitès, GORDON, THE SUDAN AND SLAVERY. LONDON 1931.

De Malortie, HERE, AND EVERYWHERE.

W. Loring, A CONFEDERATE SOLDIER IN EGYPT, 1884.

Dye, MOSLEM EGYPT AND CHRISTIAN ABYSSINIA.

THE PERSONAL PAPERS OF LORD RENDEL, 1931.

Prof. Adolf Hasenclever, AGYPTENS IM 19 JAHRHUNDERT (1798-1914).

Dr. Abbate Pacha, LE SOUDAN SOUS LE RÈGNE DU KHEDIVE ISMAIL. Notes d'une décade historique (1868-1878). Le Caire, 1905, 47 pages.

Harry Johnson, BRITAIN ACROSS THE SEAS, AFRICA, London, 1911.

Sidney Peel, THE BINDING OF THE NILE AND THE NEW SUDAN, London, 1904.

Wallis Budge, THE EGYPTIAN SUDAN; 2 vols. London, 1904.

SUDAN NOTES AND RECORDS. Cette revue remarquable qui paraît actuellement à Khartoum est à consulter depuis sa première année 1918.

M. Sabry, L'EMPIRE EGYPTIEN SOUS MOHAMED-ALY ET LA QUESTION D'ORIENT. (1811-1849). PARIS, chez chez P. Geuthner. 1930.

M. Sabry, L'EMPIRE EGYPTIEN SOUS ISMAIL ET L'INGERENCE ANGLO-FRANÇAISE (1863 — 1879.) Paris, 1933.

Prokesch-Osten, GESCHICHTE DES ABFALLS DER GRIECHEN, 5 vols. Les trois derniers sont des recueils de documents en français. Wien, 1867.

ALFRED LYALL, THE LIFE OF THE MARQUIS OF DUFFERIN AND AVA, 2 vols. London, 1905.

J. Scott Keltie, THE PARTITION OF AFRICA. London, 1893.

Major F.R. Wingate, MAHDIISM AND THE EGYPTIAN SUDAN. London, 1891.

Sir Harold MacMichael, THE ANGLO-EGYPTIAN SUDAN. London, 1934.

Arnold Toynbee, SURVEY OF INTERNATIONAL AFFAIRS, 1925. Vol. I. (THE ISLAMIC WORLD SINCE THE PEACE SETTLEMENT).

A.B. Wylde, '83 TO '87 IN THE SOUDAN, 2 vois. London, 1888.

Richard Buchta, DER SUDAN UNTER AGYPTISCHER HERRSCHAFT. 1883-1885. Leipzig, 1888.

Josef Ohrwalder, AUFSTAND UND REICH DES MAHDI IM SUDAN. Innsbruck, 1892.

Sir Harry Johnston, THE NILE QUEST. A Record of Exploration of the Nile and its Basin. London, 1903.

Lord Newton, LORD LANSDOWNE. A Biography. London 1929.

Sir Samuel Baker, THE NILE TRIBUTARIES OF ABYSSINIA. London, 1871.

H. C. Jackson, OSMAN DIGNA. London, 1926.

Emile Banning, LE PARTAGE POLITIQUE DE L'AFRIQUE, les transactions internationales les plus récentes (1885-1888) Bruxelles, 1888.

Van Ortroy, CONVENTIONS INTERNATIONALES, définissant les Limites actuelles des Possessions, Protectorats et Sphères d'influence en AFRIQUE. Paris, 1898.

Sir Edward Hertslet, THE MAP OF AFRICA BY TERATY, 3 vols. London, 1896.

E.—L. Bonnefon. L'AFRIQUE POLITIQUE EN 1900. Paris, 1900.

Jean Darcy, CENT ANNEES DE RIVALITES COLONIALES. L'AFRIQUE. Paris, 1904.

Dr. Gustav Nachtigal. SAHARA UND SUDAN, 2 vols. Berlin, 1881.

Karl W. Kumm, THE SUDAN, LONDON, 1907.

A. Billot, LA FRANCE ET L'ITALIE (1881-1899), 2 vols. Paris, 1905.

Gaston Dujarric, L'ETAT MAHDISTE DU SOUDAN. Paris, 1901.

Lieut-Colonel Count Gleichen, THE ANGLO-EGYPTIAN SUDAN 2 vols. London, 1905.

A. Silva White, LE DEVELOPPEMENT DE L'AFRIQUE. (Traduit de l'anglais). Bruxelles, 1894.

F.L. James, THE WILD TRIBES OF THE SOUDAN. London, 1884.

Henry Russell, THE RUIN OF THE SOUDAN. London, 1892.

H. Pensa, L'EGYPTE ET LE SOUDAN EGYPTIEN. Paris, 1895.

H. Déhérain, LE SOUDAN EGYPTIEN SOUS MEHEMET ALI. Paris, 1898.

George Foucart, UN VOYAGE D'ETUDES AU SOUDAN ANGLO-EGYPTIEN (1913-1914.) Marseille, 1916.

A. Egmont Hake, JOURNAL DU GENERAL GORDON, Siège de Khartoum (Traduit de l'anglais par M.A.B. avec notes et documents inédits). Paris, 1886.

THE JOURNALS OF MAJOR-GEN. C. G. GORDON AT KHARTOUM Introduction and notes by Egmont Hake. London,1885

Borelli Bey, LA CHUTE DE KHARTOUM. 1893.

H. C. Jackson, BLACK IVORY. or The Story of El Zubeir Pasha, Slaver and Sultan. As Told By HIMSELF. Translated. Khartoum 1913.

Arturo Labriola LE CREPUSCULE DE LA CIVILISATION. L'Occident et les Peuples de couleur.

George Padmore HOW BRITAIN RULES AFRICA London 1936.

E.D. MOREL. THE BLACK MANS' BURDEN. 1920.

Ludwig Bauer. Leopold Le Mai-Aimé. Paris. 1935.

Joseph Cooper. UN COTINENT PERDU OU L'ESCLAVAGE EL LA TRAITE EN AFRIQUE (1875). Traduit de l'anglais per Laboulaye. Paris, 1876.

André Gide. VOYAGE AU CONGO. PARIS, 1927.

LE RETOUR DU TCHAD. Paris. 1928.

G. Douin. HISTOIRE DU RÈGNE DU KHEDIVE ISMAIL. TOME III. L'EMPIRE AFRICAIN. (Trois parties parues. 1863-1876). Le Caire. 1941.

Dr. Rouire. L'AFRIQUE AUX EUROPÉENS. Paris. 1907

B.—**L'Equatoria et l'Afrique Centrale :**

Hill (George Birbeck), COLONEL GORDON IN CENTRAL AFRICA (1874-1879). London, 1884.

Douglas Murray and Silva White, SIR SAMUEL BAKER. A. MEMOIR. 1895.

molo Gessi, SETTE ANNI NEL SUDAN EGIZIANO. 1890—SEVEN YEARS IN THE SUDAN. Lonndres, 1892.

Schweitzer (Georg), EMIN PASCHA, BERLIN, 1898.
EMIN PASHA, His Life and work compiled from his journals, letters, scientific notes and from official documents. With an introduction by R. W. Felkin. Londres, 1898, 2 vol.

Schweinfurth (Dr. G.) et Ratzel (Dr. F.). EMIN PASCHA. Eine Sammlung von Reisebriefen und Berichten aus den ehemal Aegyptischen Aequatorial Provinzen und deren Grenzalendern. Herausgegeben. Leipzig, 1888.

Casati (Gaetano), DIECI ANNI IN EQUATORIA E RITORNO CON EMIN PACHA. Milan, 2 vol.

—DIX ANNEES EN EQUATORIA, LE RETOUR D'EMIN PACHA ET L'EXPÉDITION STANLEY. Traduit de l'italien par Louis de Hessen. Paris, 1892.

Sir Samuel Baker, ISMAILA. Londers, 1875, 2 vol.
—ISMAILIA. Récit d'une expédition dans l'Afrique centrale pour l'abolition de la traite des noirs. Traduit par H. Vattemare. Paris, 1875.

Colonel Chaillé-Long, L'EGYPTE ET SES PROVINCES PERDUES 1892.

Colonel Chaillé-Long, MY LIFE IN FOUR CONTINENTS, 2 vol. 1912.

Junker (Dr. W.), REISEN IN AFRIKA (1875-1886); 3 vols. 1889. TRAVELS IN AFRICA; traduction anglaise par H Keane, 3 vols. London, 1890.

Vita Hassan, DIE WAHRHEIT UBER EMIN PASCHA. Berlin, 1893.

Schweinfurth (Dr. George), AU COEUR DE L'AFRIQUE (1868-1871) Traduction française, par Mme H. Loreau. Paris; 2 vol. L'édition anglaise de cet ouvrage, IN THE HEART OF AFRICA, parut en 1873; l'édition allemande, IM HERZEN VON AFRIKA en 1874.

Harry Johnston, THE UGANDA PROTECTORATE, 2 vols. London 1902.

Captain F.D. Lugard. THE RISE OF OUR EAST AFRICAN EMPIRE 2 vols. London, 1893.

Major Austin, WITH MACDONALD IN UGANDA. London, 1903.

The Rev, John Roscoe, THE SOUL OF CENTRAL AFRICA. London, 1922.

Charles Michel, VERS FACHODA. 1900. On trouve dans cet ouvrage des détails for intéressants sur la Harrar et l'Ethipie en 1897-1899.

Sir Gerald Portal, THE BRITISH MISSION TO UGANDA IN 1893. London, 1894.

Rev. C.T. Wilson and R.W. Felkin, UGANDA AND THE EGYPTIAN SOUDAN, 2 vols. London, 1882.

MACKAY OF UGANDA. (Mackay, Pioneer Missionary of the Church Missionary Society in Uganda). By His Sister. London 1890.

A. J. Mounteney-Jephson, EMIN PASHA AND THE REBELLION AT THE EQUATOR. A story of nine months' experiences in the Last of the Soudan Provinces. London, 1890.

F. Alexis, LA BARBARIE AFRICAINE ET LES MISSIONS CATHOLIQUES DANS L'AFRIQUE EQUATORIALE (Contenant particulièrement les actes des martyrs nègres de l'Ouganda). Paris, 1981.

A.-J. Wauters, Stanley au secours d'Emin Pacha, Paris, 1890.

C.—**La mer Rouge, la Somalie et le Harrar :**

Cap. Sir Richard Burton. FIRST FOOTSTEPS IN EAST AFRICA OR AN EXPLORATION OF HARRAR, Londres, 1856, 2 vol.

Ralf. E. Drake-Brockman, BRITISH SOMALILAND. Londres 1912.

Gabriel Ferrand. LES COMALIS, Paris 1913.

F. L. James. THE UNKNOWN HORN OF AFRICA. AN EXPLORATION FROM BERBERAH TO LEOPOLD RIVER Londres. 1888.

R.—P. Azais et R. Chambard. CINQ ANNEES DE RECHERCHES ARCHÉOLOGIQUES EN ETHIOPIE, PROVINCE, DE HARAR ET ETHIOPIE MERIDIONALE. Paris, Geuthner 1931, 2vol.

Gabriel Ferrand. NOTES SUR LA SITUATION POLITIQUE COMMERCIALE ET RELIGIEUSE DU PACHALIK DE HARAR. Bulletin de la Société de Géographie de l'Est, 1886, Nancy.

Antonio Cecchi. SPEDIZIONE ITALIANA NELL'AFRICA EQUATORIALE DEL ZEILA ALLE FRONTIERE DEL CAFFA, 3 vol. Rome 1886-87.

Ing. L. Robecchi Bricchetti. NELL'HARRAR. Milan 1896.

E. Littmann, HARAR (raticle dans l'Encyclopédie de l'Islam).

Mohamed Moukhtar. NOTES SUR LE PAYS DE HARRAR. Bulletin de la Société Khédiviale de Géographie du Caire, 1876.

P. Paulitschke. LE HARRAR SOUS L'ADMINISTRATION EGYPTIENNE (1875-1885). Bulletin de la Société Khédiviale de Géographie du Caire, série No. 10, Mars 1887.

P. Paulitschke, HARAR, FORSCHUNGSREISE NACH DEN SOMAL UND GALLA LAENDERN Ost-Afrikas, Leipzig 1888..

Jules Borelli. ETHIOPIE MÉRIDIONALE, Paris 1890.

Bonola Bey. L'EGYPTE ET LA GEOGRAPHIE, Le Caire 1889.

RED SEA AND GULF ADEN PILOT, 1921, (Instructions Nautiques).

D. D. Sacconi IL GOVERNO EGIZIANO E LE TRIBU GALLA E SOMALI, L'ESPLORATORE, Anno 8, 1883, p. 169.

Mgr. Taurin Cahagne. LES MISSIONS CATHOLIQUES, No. 621, 29 avril 1881. No. 630, 1er juillet 1881.
Autour d'Harar, No. 677, 26 Mai 1882; No. 776, 2 Juin; No.679, 9 juin.

Gabriel Simon, VOYAGE EN ABYSSINIE ET CHEZ LES **GALLAS RAIAS,** Paris, 1885.

Dr. Philipp Paulitschke, DIE GEOGRAPHISCHE ERFORSCHUNG DER ADAL-LANDER UND HARAR'S IN OST-AFRIKA, Leipzig, 1888.

Dr. Philipp Paulitschke, ETHNOGRAPHIE NORDOST-AFRIKAS, Die Materielle culture der Danakil, Galla und Somal,

Gustavo Chiesi, LA COLONIZZAZIONE EUROPEA NELL, EST AFRICA (Italia-Irghilterra-Germania). Roma, 1909.

X. Rochet, d'Héricourt, VOYAGE SUR LA COTE ORIENTALE DE LA MER ROUGE, DANS LE PAYS D'ADEL ET LE ROYAUME DE CHOA, 2 vols. Paris 1841.

M. Guillain, DOCUMENTS SUR L'HISTOIRE LA GEOGRAPHIE ET LE COMMERCE DE L'AFRIQUE ORIENTALE, publiés par ordre du Gouvernement, en 3 vols. (2 vols. de texte et un Atlas in-folio) Paris, 1856.

Dr. Carl Peters, DIE DEUTSCHE EMIN-PASCHA-EXPEDITION. Leipzig, 1891.

Dr. F. Stuhlmann, MIT EMIN PASCHA INS HERZ VON AFRIKA, Berlin, 1894.

Mustafa Amer. SOME UNPUBLISHED EGYPTIAN, MAPS OF HARRAR, BULLETIN DE LA SOCIETE ROYALE DE GEOGRAPHIE D'EGYPTE. Avril 1937.

obeikandl.com

فهرس الكتاب

مقدمة . . . . . ص ٣

الكتاب الأول

السودان من محمد على الى سعيد

الفصل الأول ١ ـ السودان ومصر القديمة (٧) ٠ ٢ ـ السودان ومصر فى السياسة الدولية (٨) ٠

الفصل الثانى (السودان من ١٨٢١ الى ١٨٦١) ص ١٠ : الميرالاى عثمان بك ٠ محو بك ٠ خورشيد باشا ٠ أحمد باشا أبو ودان ٠ أحمد باشا المنكلى ٠ عبد اللطيف باشا ٠ على باشا شركس ٠ أراكيل نوبار ٠

الكتاب الثانى

الفصل الثالث (السودان من ١٨٦٣ الى ١٨٧٧) ص ١٧ ، موسى باشا حمدى ٠ جعفر باشامظهر ٠ اسماعيل باشا أيوب ٠

الفصل الرابع (امتداد السودان الى البحر الأحمر والمحيط الهندى ٠ السومال وهرر (١٨٧٠ ـ ١٨٨٠) ص ٢٤ ٠ بربرة (٣٦) هرر (٤٠) ٠

الفصل الخامس (امتداد السودان صوب منابع النيل) ٠ صامويل بيكر فى أفريقيا الوسطى (١٨٧٠ ـ ١٨٧٣) ص ٥٠

الفصل السادس (غردون فى أفريقيا الوسطى١٨٧٤ ـ ١٨٧٦) ص٥٨

الفصل السابع (غردون فى السودان ١٨٧٧ ـ ١٨٧٩) ص ٦٥

الكتاب الثالث

السودان من سنة ١٨٨١ الى سنة ١٨٨٥

الفصل الثامن (الثورة المهدية لغاية اخلاء السودان) ص ٨٧

١ ـ أسباب الثورة (٨٨) ٠ ٢ ـ عبد القادر حلمى فى السودان (٩٠)٠ ٣ ـ هيكس فى كردفان (٩٨) ٠

الفصل التاسع (غردون فى الخرطوم) . . . . . ص ١٠٥

الفصل العاشر (المدنية المصرية) . . . . . ص ١٢٨

obeikandl.com

الكتاب الرابع

ممالك السودان المتطرفة

(١٨٨١ ـ ١٨٩٨)

تمهيد (١٣٩)

الفصل الحادى عشر (ساحل الصومال وهرر) ص ١٤٢

الفصل الثانى عشر (ساحل البحر الأحمر) ص ١٦٢

الفصل الثالث عشر (المديرية الاستوائية أو مديريات خط الاستواء) ص ١٧٠

١ ـ أحوال المديرية من سنة ١٨٨٠ لغاية سنة ١٨٨٨ (١٧٣)

٢ ـ حملة استانلى والثورة فى مديرية خط الاستواء (١٩٥)

٣ ـ تكوين أوغندة الجديدة (١٨٩٠ ـ ١٨٩٨) ص ٢٠٨

الكتاب الخامس

الفصل الرابع عشر (السودان ١٨٨٥ ـ ١٨٩٨) ص ٢٣١

الفصل الخامس عشر (حدود الامبراطورية الجغرافية) ص ٢٢٩

١ ـ أريتريا (٢٤٣) ٠ ٢ ـ الصومال الفرنسى (٢٤٥) ٠ ٣ ـ الصومال الانجليزى (٢٤٦) ٠ ٤ ـ الصومال الايطالى (٢٤٦) ٠ ٥ ـ أفريقيا الشرقية الألمانية (٢٤٨) ٠ ٦ ـ مديريات خط الاستواء وحدود الكونغو البلجيكى الفرنسى (٢٥٠) ٠ ٧ ـ حدود السودان الشرقية والحبشة (٢٥٦) ٠ ملاحظات عامة (٢٥٨) ٠

الفصل السادس عشر (المدنيتان فى أفريقيا) ..... ص ٢٦١

الخاتمة ..... ص ٢٧١

المراجع ..... ص ٢٧٩

opelkanari.com

كتب المؤلف الأدبية

١ ـ أدب وتاريخ ـ صدر فى سنة ١٩٢٧ وقد طبع بمطبعة دار الكتب المصرية (نفدت طبعته) ،ويقع فى ٣٤٠ صفحة · وهو مقسم الى كتب : الكتاب الأول : محمود سامى البارودى · الكتاب الثانى : اسماعيل باشا صبرى · الكتاب الثالث : تاريخ الحركة الاستقلالية فى ايطاليا · الكتاب الرابع : الفصول (مختارات من مقالات المؤلف التى ظهرت فى الصحف من سنة ١٩١٣ لغاية سنة ١٩٢٧) ·

وقد نشرت فى مقدمة الكتاب الأول الخاص بمحمود سامى البارودى رسالة من أمير الشعراء المرحوم أحمد شوقى بك هذا نصها :

سيدى الأستاذ صبرى :

أحبب بك مهديا ، وأكرم بكتابك هدية ، ولا برحت تواليتا بانطرف من أدبك ، وتوافينا بالتحف من كتبك ، وجعل الله لهذه الآثار وأمثالها من نتائج القرائح فى مصر نماء وبركة ، فى رأس مال الأمة ، من حضارة مستقبلة ، ودولة مؤملة ، ومكان بين الممالك ومنزلة ، فما رأس أموال الأمم الا وسائل الأدب السليم ، وذرائع العلم الصحيح ، وكل أدب سليم فهو أدب كل زمان ، وكل علم صحيح فهو علم كل أوان · سألتنى عن رأيى فى رسالتك الجليلة فان كان له من القيمة ما زعمت فهو رأى الغواص فى الجمانة ، والبستانى فى الريحانة والتجر فى معتقة الحانة ، ترجمة كلها حسن وأحسن ما فيها المترجم ، وتحلية كلها روعة وأروع ما فيها المحلى ، منكوب كريم اجتمع لشهوات الدهر فيه ما تفرق فى البرامكة من جاه يطويه ، ونعيم يذويه ، وولد يرديه ، ونور يطفيه ، وحسب وضاح يخفيه ، وحكم بالأمس نافذ يحكم فيه · جاورته بحلوان الشهور الطوال يشد بيتينا طنب ، وينتظم دارينا جدار · فاذا الجار كريم ، واذا الشاعر عظيم ، ما سمعته مرة عرض شعره على جلسائه ، ولا رأيته الا سقيما من الحياء كلما عرض شعره عليه ، وهكذا كان رحمه الله اذا جرى ذكر الحوادث العرابية توارى بالاطراق حتى يمسك المتكلم · سأله مرة صبرى باشا : هل له مذكرات عن الثورة ؟ فقال لا ، قال : وما منعك ؟ قال علمى بأن الغضب فى طباعى وخوفى من أن يملكنى عند بعض الذكريات فيبغى القلم على الرجال · فقال حامد بك خلوصى وكان ممن ضم المجلس ، صدقت ، ألست القائل (ونغضب فى شروى نقير فنشتد) فتبسم رحمه الله ثم قال : ولا يغضبنى مثل حديث

الثورة فلنخض فى غيره • وعلى ذكر الثورة أقول للأستاذ انه كان له غنى عن الاشارة الى مواقف المرحوم البارودى فى الحوادث العرابية فان ذلك من مسابقة التاريخ ما فيه ، ومن سابق التاريخ لم يأمن أن يضل الأعقاب ، ويحرف مواضع التبعات من الرقاب •

٢ يولية سنة ١٩٢٣ المخلص

شوقى

* * *

٢ ـ **الشوامخ • الجزء الأول : امرؤ القيس** • طبع بمطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٤

٣ ـ **الجزء الثانى : الشعر الجاهلى خصائصه وأعلامه** • طبع بمطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٤

٤ ـ **الجزء الثالث : ذو الرمة** • طبع بمطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٦

٥ ـ **الجزء الرابع : أبو عبادة البحترى** • طبع بمطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٦

وثمن الجزء الواحد من الأجزاء الثلاثة الأول ٣٠ قرشا • وثمن الجزء الرابع ٤٠ قرشا •

وانا نجتزىء هنا بنشر رسالة من شاعر القطرين خليل مطران بك الى المؤلف بمناسبة صدور الجزء الأول :

حضرة الصديق الكريم الدكتور محمد صبرى بك •

بعد التحية والاكرام ـ

الداء الذى ساورنى فى هذه الأيام عاقنى عن أداء واجب الشكر لما أتحفتنى به من التحفة الغالية وأعنى بها النسخة من كتابك « الشوامخ » •

وما زلت الى هذا اليوم غير قادر على بذل أى مجهود فكرى يعتد به غير أننى بوجه اجمالى موجز أرى أن الشعر كلما اتصل بالفطرة كان من الفن الأصيل ، وكلما بعد عنها أفضى الى التعمل ، وهو فن آخر أى فن الصناعة ، وشتان بين الأصل والنقل وبين الابداء والمحاكاة •

ألم تر الى شعر هوميروس كيف بقى عند الفرنجة بمنزلة الينبوع الصافى الذى استقى منه جميع أدبائهم على اختلاف مواطنهم ومذاهبهم وأهوائهم ونزعاتهم •

ولقد تكلف الفرنجة ما تكلفوا ليفهموا هوميروس وليقتبسوا من لغته القديمة المجهولة ما اقتبسوا ونحن لم نتكلف ولا نتكلف شيئا لنفهم أمرا

القيس وأضرابهمن أيام الجاهلية فيغيبون عنا ونحكم عليهم لا لهم ٠

ولولا أنك جئت تفهمنا معـانى امرىء القيس ولولا الدكتور طه حسين بك وما جهـد ليشرح به آيات الشعر الجـاهلى الصـادق النسب ولولا آخر كتاب للأستاذ عبـاس محمود العقاد فى جميـل بثينة لبقيت كنوز الشعر الجاهلى بعيدة عنا نأخذ منها عن الأجانب ما نأخذ ولا نفقه أن لها عندنا أصلا كريما جديرا بأن نعنى به ٠

بعد كتـابة ما تقدم على علاته أوجه اليك ثنائى الخـالص عليك بأبيات جرت على قلمى حين فرغت من مطالعة كتابك وهى :

بـعد ألف وبعـد بضع مئات ... أنصفـت عبقـرية الضليـل
نضى الستر عن جلال امرىء الـ ... ـقيس بسفر من البيـان جليـل
رد صـبرى ألواحـه فتجلـت ... من خفـاء آيات فن جميـل
واذا الحسن ند عنـه حـديث ... طلب الحسن فى العتيق الأصيل
آفة الفـن جهـله كيـف والأء ... ـلام تطوى ما بين جيـل فجيـل
انمـا الرأى ما أبنت وهل أبـ ... ـلغ ممـا أقمتـه من دليـل

١٨/٤/٤٤

المخلص

خليل مطران

كتب المؤلف التاريخية

وضع المؤلف عدة كتب بالفرنسية أهمها الكتابان اللذان أشار اليهما في المقدمة وكلاهما يقع في حوالى ٦٠٠ صفحة من القطع الكبير • وقد نفدت طبعتهما : الامبراطورية المصرية في عهد محمد علي والمسألة الشرقية ، والامبراطورية المصرية في عهد اسماعيل والتدخل الانجليزي ـ الفرنسي •

(آراء النقاد والعلماء في الكتاب الأول

(عصر محمد علي)

(١) مجلة ريفي دي فرانس عدد أول يولية سنة ١٩٣٠ : « هذا الكتاب الضخم يسجل أهم حقبة في تاريخ المسألة الشرقية ، تلك الحقبة التي تمكن فيها محمد علي بمساعدة ابنه ابراهيم من النهوض بمصر • وقد كان الخيط الذي اهتدى به في بحثه هو تحليل شخصية محمد علي فتمكن بهذه الطريقة من تجديد ذلك التاريخ تجديدا شاملا مع أنه كان من قبل موضوع دراسات طويلة وكان الغموض والتعقيد يكتنفانه من كل جانب •

(٢) ـ مجلة مدرسة الدراسات الشرقية بلندرة • المجلد السادس القسم الأول • سنة ١٩٣٠ • بقلم هنري دودويل : لا شك أن المؤلف قد اضطر الى عمل مجهود ضخم لتأليف هذا الكتاب الكبير • وقد انتفع بعدد لا يحصى من الوثائق والمستندات المستخرجه من مصادر متنوعة جدا • وقد يكثر من ذكرها باسهاب ولكن بفن • ولا جدال في أن أهمها وأعلاها قيمة الرسائل المتبادلة بين الباشا الكبير وابنه ابراهيم ومنتخباته من رسائل وزارة الخارجية النمسوية فهذه كلها جديدة للجميع • وهذا هو السبب الذي من أجله يلقى ذلك الكتاب ضوءا كبيرا جديدا على حياة محمد علي السياسية •

(٣) ـ جريدة البورص أجبسيان بالقاهرة • مقال بقلم المؤرخ الفرنسي جيمار بتاريخ أول يولية سنة ١٩٣٠ : « سيطالع القراء بشغف الموازنة التي خطتها يد صناع بين محمد علي وابراهيم ، موازنة خرج فيها الدكتور صبري على الأساطير الموروثة واجترأ أحيانا على تفضيل الابن الجسور على الأب المفرط في المراقبة والحذر •

ولا بد من دراسة طويلة جدا لتحليل كتاب الدكتور صبرى تحليلا كاملا ·· وحسبنا أن نقول أن الكتاب الذى نحن بصدده عمل ضخم جبار اضطر المؤلف الى الاطلاع على مجموعة هائلة من أوراق المحفوظات الخطية ومن المستندات المطبوعة · وأهم من ذلك انه بحث جديد بكل معانى الكلمة لأنه أتى لنا ، فى مسائل كان يعتقد البعض أنها أصبحت مستنفدة، بنظرات بكر لامعة ·

(٤) ـ **مجلة تاريخ المستعمرات الفرنسية** · فصل كتبه المؤرخ الكبير شارل رو السفير القديم ورئيس شركة قناة السويس وأحد أعوان هانوتو (عدد يناير ـ فبراير سنة ١٩٣١) :

« ان أول مزية لصبرى هى الطريقة التى صاغ بها موضوعه المحدد بالدقة فى العنوان · وقد بلغت الأزمة الطويلة ، التى لزمت المسألة الشرقية ، أوجها فى سنة ١٨٤٠ · وكانت أهميتها السياسية ترجع فعلا الى تطورات الامبراطورية التى أسسها محمد على وكانت مصر نواتها قبل أن ترجع الى حياته الشخصية · ولا شك أن تكوين هذه الامبراطورية ، العربية فى جوهرها ، هو الذى حرك المسألة الشرقية فى أعنف أشكالها وساق الى حلها حلا ـ ان لم يكن كاملا فقد كان جزئيا بسعة ـ ولكن أوروبا فى ذلك الوقت باستثناء فرانسا ، لم تكن راضية عنه ·

« كان رد الفعل عند الدول الأوروبية ازاء ذلك الحادث ذى الأهمية الدولية الكبرى ،وكان تقطيع أوصال الامبراطورية المصرية وبالأحرى تدميرها هما المظهر المحزن لتلك الأزمة التى بلغت نهايتها فى سنة ١٨٤١ ·

« ذلك هو الضوء الذى تبدو فيه الحوادث فى كتاب صبرى · الذى يصف موضوع النزاع لا باعتباره خلافا حول أطماع تابع وحقوق متبوع فحسب بل باعتباره قبل كل شىء خلافا حول نظرية سياسية جديدة ونظام قديم عفى عليه الزمن ·

« وتتجلى مزية أخرى لصبرى فى تنوع مستنداته وكثرتها · ولما كانت مصادر المحفوظات الرسمية للمدة من سنة ١٨٣٢ الى سنة ١٨٤١ لم تفتح للجمهور الا من عهد قريب نسبيا فان كتاب صبرى فى مقدمة الكتب التى تمكن فيها صاحبها من مقارنة الوثائق التى أودعت فيها حكومات كثيرة فكرتها السياسية·وهذه المستندات، التى لم يسبق نشر معظمها ،قد ساعدته على الاتيان بجديد فى موضوعه على الرغم من كثرة تعرض الباحثين له من قبل وهذه أولى فضائل هذا الكتاب فى نظر المشتغلين بتاريخ الشرق ·

« وليس فى مقدورنا فى حيز هذا النقد المحدود متابعة المؤلف فى

تحليله السياسات المختلفة التى تصادمت فى غضون هذه الأربعين سنة . ولكن مما لا ريب فيه أن هذا التحليل قد صحح أوضاعا وآراء كثيرة : محمد على نفسه وانجلترا وفرانسا . هذه « الأشخاص » الثلاثة التى لعبت دورا رئيسيا فى الحوادث التاريخية الطويلة قد عرف صبرى كيف يكشف عن سياستها واتجاهاتها المختلطة المتعددة الوجوه وهى كثيرا ما تختلف عن الأوضاع التى صبتها فى قالبها وصقلتها التقاليد المطبوعة بطابع البساطة والتى لا ترى الأمور الا من ناحية واحدة .

« لقد فاتح محمد على انجلترا وتقرب اليها ووضع آماله فى مساعدتها لتحقيق استقلاله . وجعلته انجلترا يتعلق بذلك الوهم ويعتقد انها لا تمانع فى أن يحقق استقلاله بمصر ويبسط سلطانه على الشام . أما فرنسا فانها لم تطلق له العنان وجعلته يخشى « الشكيمة » وخففت من غلوائه دون أن يمنعها ذلك من تأييده بكل قوة فى اللحظة الحاسمة .

« وقد أظهر صبرى تطورات وتقلبات عوامل هذا النزاع «الدراماطيقى» الذى وضع على البساط مصير الشرق بل وسلم أوروبا ومصالح دولها الحيوية .

« وطبيعى فى أزمة طويلة كهذه ذات نتائج لا تحصى لم يكن فى مقدور سياسة أى رجل وبالتالى سياسة أية حكومة أن تظل فى خطة واحدة ، فى وحدتها التى جمدتها فيها بغير هوادة الصور الاصطلاحية فى التاريخ السطحى . وقد كان استمرار الهدف لكل دولة يحول دون الاستمرار المطلق فى الوسائل كما يتصورها خطأ المراقبون الذين لم يؤتوا من العلم الا قليلا .

« وقد برز وجه محمد على فى كتاب صبرى بملامح تكذب الأسطورة التى جرت فى أثناء حياته نفسها حول مغامراته الهوجاء ومواقفه العنيدة . وتؤلف الوثائق التى استعملها مؤرخه شخصية سياسى قد لا يتردد فى المخاطرة الكبرى ـ وهو ماكانت تقضى به ظروفه وخططه فى سبيل الوصول الى غايته ـ ولكنه مع ذلك كان يقدر كل خطوة يخطوها ولا يلقى بكل أوراقه . ففى حروبه فى سبيل السلطان وفى حروبه ضده كان ينظر دائما بعين يقظة صوب أوروبا ، وكانت أوروبا نصب عينيه كلما تحركت أطماعه ولكن هذه الأطماع كان فيها من الروية والتبصر ما لا يبدو لأول وهلة » .

(٥) ـ **مجلة الأدب المستشرقة** (التى تصدر فى ليبزج) . سنة ١٩٣١ عدد ٧ . بقلم هازنكليفر الأستاذ بجامعة جيتنجن :

« دراسة كبيرة رائعة مؤسسة على مواد محفوظات واسعة جدا .. ومن

الممكن طبعا نقد نقط تفصيلية ولكن بما أن المسألة لا تخرج عن نقط تفصيلية فانى أتحامى التعرض لها ازاء عمل كهذا قد أحكم بناؤه الى أقصى حد ٠ »

«٦» ـ **ريفى بليه** ٠ (باريس) ٠ أول أغسطس سنة ١٩٣١ ٠ بقلم بول فايل :

« كتب صبرى تاريخ حياة محمد على ودرس فى حدودها جميع المسألة الشرقية من سنة ١٨٢٠ لغاية سنة ١٨٤١ وخصوصا الأزمة الأوروبية من سنة ١٨٣٩ الى سنة ١٨٤١ ٠ فما أحفل هذا الكتاب بالوقائع المستقاة من مصادر المحفوظات الخطية وما أعظم أمانة المؤلف العلمية فى التعليق والشرح وما أجمل رصانة أسلوبه ؟ وهوما سيتبينه القارىء نفسه حين يطالع ذلك الكتاب الكبير الذى يرسم صورة كلها حياة للعاهلين الباشا وابنه ابراهيم ، مؤسس امبراطورية سورية زائلة ومؤسس دولة مصرية كفل لها البقاء ٠

« وقد رفع الأديب الكبير صبرى لذكراهما هذا العمل الضخم الذى هو خير ما تطيب له نفساهما » ٠

«٧» ـ **مجلة الجمعية الأسيوية** (لندرة) ٠ يناير سنة ١٩٣٢ بقلم الكولونيل الجود :

« قد يكون هذا الكتاب طويلا جدا للقارىء المتوسط ولكن العلماء سيذكرون للمؤلف جلده فى البحث فى محفوظات القاهرة وباريس ولندرة وفينا ٠ وحسب الدكتور صبرى أنه لم يخف أى شىء هام على بصره النافذ ٠ والكتاب فى مجموعه قد كتب بروح نزيهة جادة عادلة ٠

(٨) ـ **مجلة بوليبليون** الباريسية ٠ عدد مايو سنة ١٩٣١ ٠ بقلم هنرى جيران :

« منذ قرون عدة لم تلعب مصر فى تاريخها دورا هاما كالدور الذى لعبته فى عصر محمد على خصوصا من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٤٠ وهى الحقبة الحاسمة فى تاريخ الأزمة الشرقية ٠

« كانت هذه الحقبة الهامة من التاريخ الحديث غامضة فى بعض نواحيها ان لم تكن مجهولة فكشف عنها المؤلف : مثال ذلك المفاوضات الطويلة التى جرت بين شارل العاشر ومحمد على لعمل حملة مشتركة ضد داى الجزائر قبل حملة سنة ١٨٣٠ ، وكذلك الأغراض والمرامى الحقيقية التى كانت تنطوى عليها معاهدة أونكيار ـ اسكيليسى المعقودة بين روسيا وتركيا فى سنة ١٨٣٣

« وليس فى مقدورنا أن نوفى حقها من الثناء تلك الدقة فى الحكم على السياسة الأوروبية ازاء الحكومتين التابعة والمتبوعة ، المتنازعتين على السيادة فى الشرق ·

« ان الوثائق الكثيرة جدا المستخرجة من المحفوظات الكبرى مترجمة أو منقولة فى صلب الكتاب (لا فى الهامش كما يفعل الكثيرون) تكشف لنا عن اضمحلال الباب العالى ونهضة محمد على وما فيها من عزيمة وذكاء ، ومناصبة انجلترا له العداء الطويل مملثة فى شخص بالمرستون وبونسنبى ، مستعينة فى صراعها بالدول الكبرى ، ما خلا فرانسا التى لم تستطع ـ بفضل تمسكها بنظرية (خير الأمور الوسط) التى كانت عزيزة على لويس فيليب ـ الا أن تكفل لوالى مصر الحكومة الوراثية فى وادى النيل ·

(٩) مجلة المستعمرات الايطالية التى كانت تصدرها وزارة المستعمرات الايطالية · عدد نوفمبر سنة ١٩٣٠ :

« ان هذا الكتاب عمل جليل فى تاريخ المسألة الشرقية الشهيرة التى طال بحثها ولكن دراسة صبرى يبرز فيها طابع خاص لأسباب عديدة أولها : نجاحه فى الكشف عن بواطن واتجاهات سياسات انجلترا وفرانسا وروسيا والباب العالى ازاء مصر كشفا لا هوادة فيه بفضل الوثائق التى استخرجها من وزارات الخارجية المختلفة ··· ومنها الرسائل التى مكنته من تحليل شخصية العاهلين واظهارها فى ضوء جديد ··· ألخ ألخ ··

« بالجملة فان هذا الكتاب فى مجموعه جديد فى أسلوبه وأسانيده وطرائقه »

(١٠) مجلة لاروس الشهرى · عدد يناير سنة ١٩٣١ · بقلم روبير ديفورك :

« هذا كتاب عظيم جدا وقد درس فيه صبرى مؤسس الامبراطورية المصرية : وهو تاريخ عهد أولا ولكنه أيضا تاريخ سياسى (ديبلوماطيقى) لمرحلة من أهم مراحل القرن التاسع عشر ولمسألة من كبريات مسائل التاريخ التى لا نزال نحس آثارها الى اليوم ·

(١١) وكتب جورج دوان فى كتابه (حرب الشام الأولى) · « الذى ظهر بالفرنسية فى سنة ١٩٣١ » :

« ·· على أن التاريخ العام لذلك العصر قد كتبه الدكتور صبرى (الامبراطورية المصرية فى عهد محمد علىوالمسألة الشرقية) بأسلوب يدل على نبوغ يطيب لنا أن نتحنى له اجلالا · »

(آراء النقاد والعلماء فى الكتاب الثاني)

(عصر اسماعيل)

(١) ـ مجلة العالم الاسلامى ٠الانجليزية ٠ عدد٢٥ يولية سنة ١٩٣٤:

« أظهر المؤلف فى هذا الكتاب ما اتصف به من دأب وتبسط فى العلم فى كتابه الأول الخاص بتاريخ محمد على وهو يمشى قدما فى اقامة ذلك الصرح الرفيع فى تاريخ مصر السياسى »

(٢) مجلة مدرسة العلوم الشرقية ٠ بجامعة لندن عدد ١٠ فبراير سنة ١٩٣٤ :

« ان كتاب الدكتور صبرى عمل بنى على البحث وانه مدعم بالوثائق وانه ـ سوى فيما يتعلق بمسائل السياسة الأجنبية ـ قائم على الانصاف والاتزان ٠

(٣) ـ مجلة العلوم الدينية ٠ التى تصدرها جامعة استراسبورج ٠ سنة ١٩٣٤ :

بعدما أشار صاحب المقال الى عصرى عباس واسماعيل والى الصراع الجبار الذى دار فيهما حول « المصالح » بين فرنسا وانجلترا من ناحية وبين هاتين الدولتين ومصر من ناحية أخرى والى أن دور المحفوظات قد انفتحت على مصاريعها للمؤلف قال : « وبذلك أمكنه الكشف عن حقائق كثيرة كانت مجهولة ٠٠٠ ومهما كان من الأمر فان هذا الكتاب قيم بلاشك وهو أول تاريخ لمصر فى ذلك العهد »

(٤) مجلة الأللستراسيون الفرنسية ٠ عدد ١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٣ :

بعدما أشار الناقد الى النزاع الاستعمارى بين دول أوروبا فى أفريقيا والى اتساع مصر فى وادى النيل والسودان والصومال وهرر وأغندة وغيرها وعلاقة مصر بالمشاكل الأفريقية وما اكتنف هذه العلاقة من عناصر متشابكة لاحصر لها مالية وسياسية واقتصادية قال : « ان المؤلف قد فصل لنا هذه الحوادث ونفخ الحياة فى ذلك التاريخ القريب منا بقوة الأسلوب وتوخى أقصى حدود الدقة فى أسانيده »

(٥) ـ مجلة بوليبليون الفرنسية ٠ سنة ١٩٣٣ :

بعدما أشار الناقد الى عصر اسماعيل وفضائحه المالية التى أخذت منها بنصيب شركة قناة السويس قال : « ان الصفحات الخاصة بغردون ليست أقل الصفحات امتاعا فى ذلك الكتاب الممتلىء روعة من أى النواحى نظرت اليه ٠ ٠

« ان هذا الكتاب ليس أقل من سابقه وهو يضفى على صاحبه أكبر الفخر »

(٦) ـ مجلة الجمعية الجغرافيـة بباريس • عدد ديسمبر سنة ١٩٣٣ :

« ان صبرى العالم المصرى قد أخذ على عاتقه كتابة تاريخ مصر من محمد على الى اليوم ••• وان هذا الـكتاب الذى هو عمل ضخم مدعم بالمستندات الـكثيرة من وضع مؤرخ مصرى يفتح لنـا فى تاريخ مصر المرتبط بتاريخ أوروبا سبلا جديدة ، لم تطرق من قبل ، عظيمة الشأن »

(٧) مجلة الشهر (ليموا) • عدد ١٠ يناير سنة ١٩٣٤ :

« ان هذا الـكتاب الفخم الذى وضعه الأستاذ العلامة صبرى يثبت لنا أن الفضـائح المالية لم يخل منها بلد ولا زمان ••• وقد أظهر صبرى بقوة أن فرنسـا فى ذلك العصر لم تكن أسـلم طوية من انجلترا وقد برر المؤلف رد الفعل الذى حدث فى مصر وقتئذ ضد الدول الأوربية التى كان أكبر همها التغرير بمصر وسلبها ونهبها •

« ولا ريب أن هذا الكتاب عظيم الشأن من كل النواحى » •

(٨) مجلة الدراسات التاريخية بباريس • عدد يوليه سنة ١٩٣٤ :

« هـذا كتاب رائع جـدا مدعم بمستندات رصينـة معظمها لم يسـبق نشره • وهو يبحـث فى عصر هام من تاريخ مصر والتـوغل الأوربى فى أفريقيـا وهو ليس تاريخا سـياسيا كما يصفه المؤلف فحسب بل تاريخـا اقتصـاديا واستعماريا يجـدد فى نواح كثـيرة موضوعا كنا لا نعرفه حق المعرفة • وقد ظهرت شخصية غردون الغامضة فى جلاء رائع وبانت مسألة قناة السويس فى جميع بواطنها الخافية » •

(٩) مجلة افريقيا الفرنسية • عدد فبراير سنة ١٩٣٥ :

« ان الوثائق التى أتى بها المؤلف تظهر فى صورة غير مشرفة الوسائل التى لجأ اليها دلسبس للتحايل على ابتزاز المال من الخديوى اسماعيل • وقد بسط المؤلف المراحل السياسية المختلفة بقوة نفاذة وبانت ملامح جديدة فى شخصية غردون الغامضة » •

(١٠) مجـلة الآداب المستشرقة التى تصـدر فى ليبزج • بقلم الأسـتاذ هازنكليفر بجامعة جيتنجتن • عدد ٥ من سنة ١٩٣٥ :

« ان هذا الكتاب الثانى ليس أقل روعة وشأنا من الأول وانه مثله تماما فى توخى الدقة فى البحث وفى براعة العـرض والبنـاء وفى تنوع فصـوله ومناحيه »

(١١) المجلة الأمريكية التاريخية• بقلم هوسكنز الأستاذ بجامعة تفتس:

« ان الـكتاب فى مجموعه قد كتب بدقة واحكام وبطريقة علمية رائعة منزهة عن كل مأخذ • وفى الكتاب وجهات نظر جديدة لهـا شأنها وحسبه أنه يفيض ضـوءا جـديدا على مرحـلة هامة من تاريخ التـدخل الأوربى فى أفريقيا » •

تحت الطبع

فى السياسة والأدب والاجتماع ـ سيشتمل هذا الكتاب على أهم المقالات والأبحاث التى نشرها المؤلف فى عشرين عاما من سنة ١٩٢٧ لغاية سنة ١٩٤٨ • وسنزيد عليها فصولا قديمة لم تنشر فى كتاب (أدب وتاريخ) وفصولا جديدة لم تنشر مطلقا •

obeikandl.com